ة الثقافة والأرشاد القومي ـ مديرية التأليف والترجمة

مختارات من شعر

لوركا

ترجمة عدنان بغجاتي

سلسلة روائع
الأدب الغربي
" ٥ "

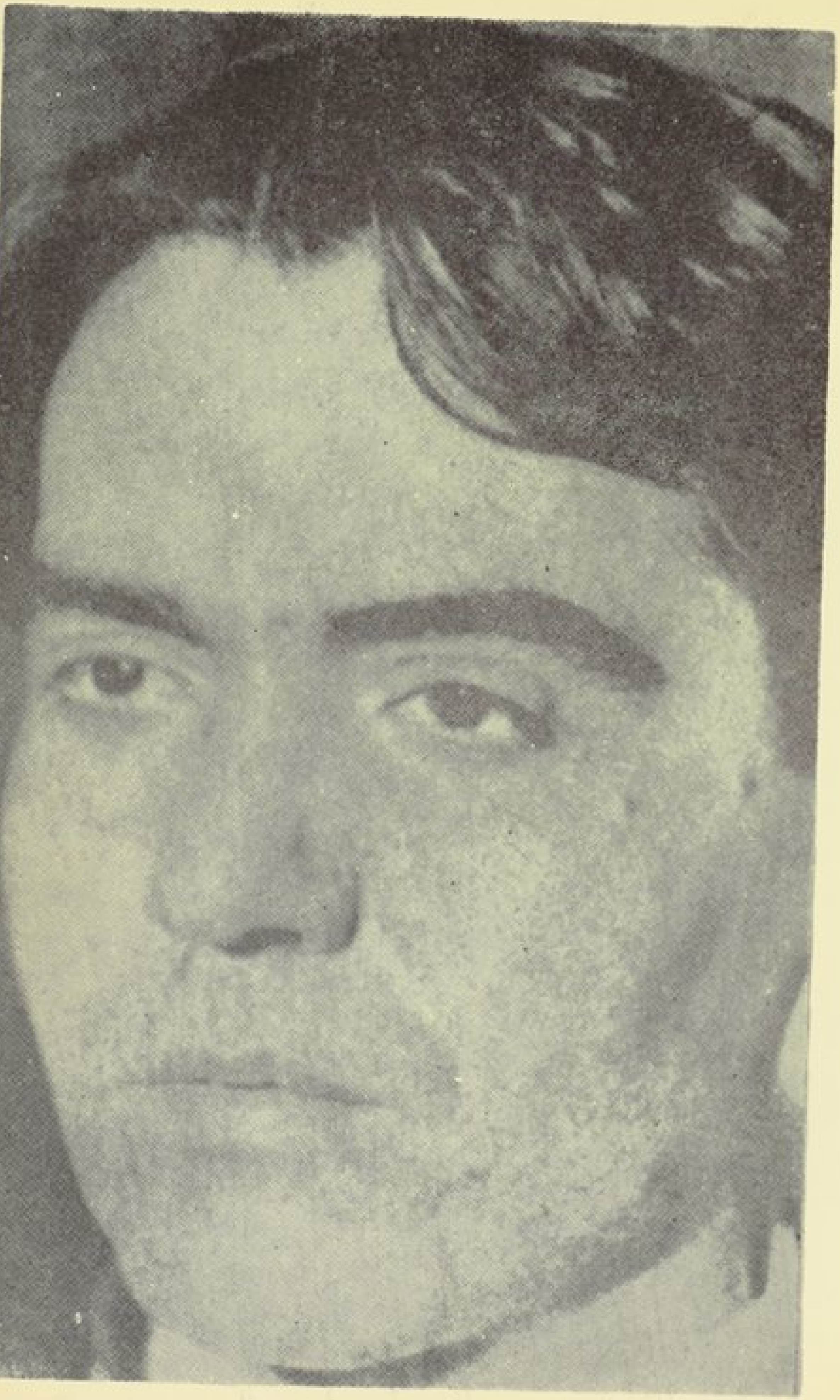
وزارة الثقافة والارشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة

مختارات من شعر لوركا

ترجمة : عدنان بغجاتي

الناشر
دار دمشق
للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة روائع الأدب الغربي
٥



فدريكو غارثيا لوركا

لوركا وعالمه الشعري

بقلم ج. ل. جيلي

لم يبلغ أي من شعراء اسبانيا المعاصرين ما بلغه لوركا من شهرة عالمية. فقد جعلت منه ترجمات أعماله في السنين التي سبقت الحرب العالمية الثانية رجلا ذائع الصيت، وخاصة في بريطانيا والامريكيتين ولعل الفضل في شهرته المبكرة يعود، بشكل ما، لظروف مصرعه الفاجع المروع في الحرب الأهلية الاسبانية. غير أن السنين اللاحقة أثبتت أن القدر الاكبر من شعبيته يستند إلى أسس أكثر رسوخاً من الحماسية والتعاطف. والحق أن قيمة لوركا قد علت على تعاقب السنين وبإمكاننا القول واثقين إن شعره يقف في مرتبة خير ما قدمته اسبانيا. وهذه المختارات (ومقالته عن الروح المبدع) تمثل أهم مزايا لوركا الشعرية.

ولد فيديريكو غارثيا لوركا في فوينتا فاكيروس في سهل غرناطة الممرع في الخامس من حزيران عام ١٨٩٨، وقتل في تموز عام ١٩٣٦ بيد عصبة مجهولة في الايام الاولى من الحرب الاهلية، وقد جرى اعدامه كما يظن في فيثنار على التلال القريبة من غرناطة، ولكن جسده (كما كان قد تنبأ) لم يعثر عليه:

عرفت أنني قتيل:

فتشوا المقاهي ، والمقابر ، والكنائس ،
فتحوا البراميل والخزائن ،
سرقوا ثلاثة هياكل عظيمة لينتزعوا أسنانها الذهبية ،
ولم يعثروا علي !
ألم يعثروا علي ؟
نعم لم يعثروا علي !

حدث لوركا مرة أحد الصحفيين قائلا : « كان أبي مزارعاً غنياً وخيالا ماهراً ، وتنحدر أمي من اسرة عريقة » . وكان هـــو الاخ الاكبر في اسرة مؤلفة من أخوين وأختين . أمضى سنيه الاولى في مزرعة الاسرة ولم يستطع المشي حتى الرابعة من عمره ، بسبب مرض خطير أصابه عقب الولادة ، وأبقى أثره عليه في عرج بسيط لم يعد يلحظ في شبابه . وقد أثر هذا العيب الطبيعي على الصورة العامة لشخصيته تأثيراً واضحاً حسب مايري صديقه ر . م . نادال (دون ان يفقد ذلك على أي حال من مرحه الفطري) . وكان من عدم استطاعتـــه مشاركة الصغار ألعابهم أن نمت قواه التخيلية وأحاسيسه ، فراح يعبر عـــن نفسه بصنع عالم خاص به من المسرح ومسرح العرائس والاستعراضات ، ويسقط على دماه شخصيات خدم الاسرة المسنين واخوتـــه الصغار . وهكذا رسم دائرة الاسرة حوله . وكان أول ما اشتراه بما اقتصده من النقود مسرحاً للعرائس في غرناطة . ولم يعق فيديريكو الصغير عدم وجود مسرحيات مطبوعة مع المسرح المشترى فأخذ يكتب مسرحياته

الخاصة . ومنذ ذلك الوقت لازمه الشغف بالمسرح الذي قــدر له أن يكون الجزء الهام من عمله .

ليس في سنيه الاولى ما يثير الدهشة في حياته العقلية . علمته أمه - التي مارست التعليم فترة - الابجدية . وكانت الحياة في مزرعة الاسرة وادعة هادئة ، وفيها اتصل اتصالا وثيقاً بالريف وحياة الريف الغنيــة بالتقاليد الاندلسية . واستطاع أن يتمتم الالحان الشائعة قبل أن يحسن النطق ، وأخذ عن الخدم المسنين الحكايا والاغاني الشعبيــة . وسوف يتمثل في شعره أكثر ما يدخره في هذه الفترة إذا كان كل ما يحيط به (كما أقر هو) مدرباً على التجربة الشعرية . والتهويدة التالية التي كان شديد الشغف بها :

أولاً أولاً أولاً
تهويدة من
مضى بجواده إلى الماء
وعاد لم يسقه .

والتي استلهم منها تهويدته في (عرس الدم) إنما هي مثل على الرقية الغنائية البسيطة التي نشأ عليها .

حين حان الوقت الذي لابد فيه من إلحاق فيديريكو بالمدرسة انتقلت الاسرة الى غرناطة ، وهناك تلقى ما يتلقاه أترابــه الذين في مستواه الاجتماعي من الثقافة العادية ، حتى بلغ سن الجامعة . فبدأ دراستــه الجامعية في جامعة غرناطة دون أن يتمها . ثم التحق فيما بعد بجامعــة مدريد ولكنه لم ينجز دراسته فيها أيضاً . إذ لم يكن ميــالا إلى

الدراسات الاكاديمية أبداً . وكانت اهتماماته متجهة دائماً إلى خارج مدرجات الجامعة . وقد وجد نفسه أسعد حالا في المقاهي واحاديث الاصدقاء والتجول في ريف غرناطة أو بساتينها القريبة . وفي الكشف عن العديد من الثقافات والتقاليد التي كونت إقليم الاندلس العريقة ، وفي التعرف على الغجر الذين قدر لهم أن يكونوا الموضوع الهام الذي يستوحي منه أعظم أعماله . وتعلم العزف على البيانو ثم على الغيتار ولكنه هجره بعد فترة . والتقى بمانويل دي فالا الذي أصبح لهصديقاً وموجهاً،وشجعه وهداه الى جمع تراث الأغاني الشعبية و كتابة موسيقاها.

كان أكبر قسط من مطالعاته يقع في خارج الكتب المدرسية ؛ قرأ الأعمال الكلاسيكية المترجمة ، وخاصة المسرح اليوناني وشكسبير وابسن وفيكتور هوغو وماترلنك ، والاعمال الكلاسيكية الاسبانية ، وأعمال أولئك المنتمين إلى ما يسمى بجيل الـ ٩٨ أمثال مانشـادو وأونامونو وأثورين ، والرومانتيكيين من الشعراء الاسبان والمعاصرين من روبن داريو إلى خوان رامون خيمنيث .

كان معظم أصدقائه في غرناطة من الرسامين والنحاتين والموسيقيين والشعراء . ونظم مع دي فالا مهرجان (الكانتي خوندو) الاغنية العميقة لجنوبي اسبانيا ، وفي ذلك الوقت أصبح على اتصال أوثق بعالم الغجر مغنيه وراقصيه، ولقد كتب خ . ب . تربنـد : أن المثقفين الاسبان كانوا مغرمين ذلك الوقت بالكانتي خوندو لانهم جادون في البحث عن شيء من الثقافة العريقة لشبه الجزيرة .ولا شك في أن لوركا كان مشدوداً إلى تلك الفئة للاسباب ذاتها .

أثناء إقامة لوركا في غرناطة طبع أول كتاب نثري له (انطباعات ومناظر) عام ١٩١٨ وهو حصيلة عديد من الرحلات في اسبانيا قام بها برفقة فريق يرأسه أستاذ الادب في جامعة غرناطة. وتلك السلسلة من المقالات توضح سلفاً شخصية الشاعر وتضع حداً لنهاية فترة صباه.

في السنة التالية رحل إلى مدريد راغباً في الظاهر في اتمام دراسته غير ان ميوله هناك ظلت في معظمها غير أكاديمية وقد هيأ له حسن طالعه من نصحه بالالتحاق بدار الطلبة وهي مؤسسة ذات تقاليد حرة. وقد آوت تلك الدار الكثيرين من الشعراء المرموقين أمثال انتونيو ماتشادو وخوان رامون خيمنيث و. خ. مورينو فيلا وبدرو ساليناس ورفائيل البرتي وخورخي جيلين. وفي شخص رئيس الدار دون البرتو خيمنيث وجد لوركا صديقاً يرعى مواهبه ويسهل له كل ما من شأنه أن يساعده على تنمية شخصيته. وهناك قد قدم المسرحيات وألف على البيانو ورسم بالزيت والقلم وسجل الاغاني الشعبية وتلا أشعاره – وغير ذلك من الاعمال الحبيبة الى نفسه. وفي هذا الجو المتجانس أصبح على صلة دائمة بالمثقفين النابهين أمثال أونامونو واورتيغا وغاسيت الذين كانوا يؤمون الدار غالباً؛ وعلى صلة برواد الفكر العالميين أمثال برغسون وفاليري وكلوديل وأراغون وتشيسترتون وكينز وهـ ج ويلز وغيرهم. أقام هناك عدة سنين دون أن ينهي دراسته غير أنه ظل دائماً يكتب ويهذب شعره واعياً كل الوعي للقبه كشاعر

استطاعت المستقبلية والدادائية وغيرهما من الحركات الثورية والمدارس الادبية في أوروبا بعد الحرب العالمية الاولى أن تفرض أثرها على الكثيرين من معاصري لوركا في مدريد دون أن تترك عليه غير أثر

زهيد . إذ كان هو نفسه غير ميال بطبيعته الى الرمز. واستمر ذلك في الواقع حتى توطدت صداقته مع سالفادور دالي رائد السيريالية الكبير الذي أقام فترة قصيرة في دار الطلبة ، وعند ذلك أبدى لوركا بعض الاهتمام الفعال بالتيارات المعاصرة . غير أنه استطاع أن يتمثل جميع التأثيرات التي تلقاها سواء كانت موروثة أو مستحدثة ويخضعها إلى شاعريته الخاصة ، دونما وعي منه في الغالب . فكلمة أو جملة يسمعها يمكن أن تظهر يوماً ما في قصيدة عن غير ما علم منه . ذلك كان دوردنوه التلقائي من فنه . ويتحدث جيلرمودي تورى عن تمثل لوركا للاغاني الشعبية واعادة خلقها قائلا : « إنه يغنيها ، يحلم بها ، ويعيد كشفها وبكلمة واحدة ، يحيلها إلى شعر » وعن هذه الملافة نفسها يتحدث أخوه فرانشيسكو قائلا : كنا في جولة في سيرا نيفادا وكان دليلنا البغال يغني لنفسه :

ومضيت بها إلى النهر
ظاناً أنها عذراء
ولكنها كانت ذات زوج

وبعد مضي زمن كنا نتحدث في أحد الايام عن قصيدة الزوجة الخائنة فذكرته بالبغال ، ولشدما كانت دهشتي حين أنه قد نسي الامر تماما . لقد ظن أن الابيات الثلاثة الاولى من القصيدة من نظمه كأي بيت آخر من أبياتها . بل أستطيع أن اؤكد أنه ضاق بإصراري فقد ظل مثابراً على الاعتقاد بأني على خطأ .

طبع أول ديوان شعر له (كتاب الاشعار) عام ١٩٢١ دون أن يثير كثيراً من الانتباه في غير وسطه ولكن لوركا على كل حـال كان كثير الإعراض عن النشر . وكان على أصدقائه الأدباء أن يقوموا بالعديد من المحـاولات ليحتالوا للفوز بإحدى قصائـده لنشرها في دورياتهم . ومع أنه لم ينقطع عن نظم الشعر فإن ديوانه الثاني (أغان) لم يظهر حتى عام ١٩٢٧ . غير أنه استطاع لما له من قوة الشخصية أن يؤثر على الشعراء الآخرين من قبل أن تظهر أعماله الهامة . كان يفضل أن ينشد أشعاره ، لأنه يعتقد ، ويـذكر ذلك في مقالته عن الروح المبدع : « إن الشعر بحاجة إلى ناقل . إلى كائن حي » وفي تلاوته لهذه الأشعار امتحن قدرة شعره على التأثير أكثر من مطبوعاته . ولقد وضح ذلك روي كيمبل وهو يقارنه بديلان توماس الذي كان مغرماً أيضاً بأقصى معنى تقدمه الكلمة من خلال جرسها . ولعل ذلك التشابه بينهما ناتج عن أنهمـا مولودان في بلدين ذوي تراث موسيقي وصوتي شاسع بين الناس .

وكيما نفهم روح شخصيته المبدع وسحرها يحسن أن نذكر بعض ماقاله معاصروه . كتب الشاعر رفائيل البرتي : « كان لوركا يتدفق بشحنة من الرقة الكهربائية ، والفتنة ويلف مستمعيه بجو أخاذ من السحر فيأسرهم ، حين يتحدث ، أو ينشد الشعر ، أو يرتجل مشهداً مسرحياً ، أو يغني أو يعزف على البيانو ؛ فحينما حل لوركا وجد بيانو ... » . وحتى الشاعر بدور ساليناس ، الذي يسبقه بسبع سنين ، يقول فيه : « لقد كان العيد والبهجة ؛ يشع علينا وليس لنا إلا أن نتبعه . » ويعود بعض

الفضل في هذه الشخصية البهيجة الآمرة إلى ميوله التمثيلية التي كانت تبعد خواطره السوداء . يروي صديقه الحميم الشاعر فيثنتي الكسندر كيف رآه : « في أعماق الليل يتطلع فجأة من شرفات غامضة حين بدا القمر بدرا في وجهه ، لقد أحسست أن يديه تتكئان على الريح غير أن قدميه غارقتان في الزمن ، في القرون ، في أعمق جذور التربة الاسبانية . » إن ذلك الإزدواج في شخصيته يعكس شخصية اسبانيا نفسها .. بهجة وحزن أسود في آن واحد .

في عام ١٩٢٠ عرض فصل من مسرحية مبكرة له (رقية الفراشة المشؤومة) في مدريد . وأما أولى مغامراته المسرحية الناجحة فكانت المسرحية النثرية التاريخية (ماريانا بينيدا) التي قدمت في مدريد عام ١٩٢٧ ومن الطريف أن نلحظ كيف كان تطوره ككاتب مسرحي يرقى متوازيا مع تطوره كشاعر .

ولعله كان يوافق ت.س. اليوت حين يقول : « إن المسرح هو البيئة المثلى للشعر وأقوم الوسائل ذات النفع الاجتماعي . » فقد كان لوركا ذا وجدان اجتماعي يؤمن أن على الشاعر : « في هذا الزمن المسرحي من العالم أن يضحك ويبكي مع الناس . » .

وشهد العام التالي ظهور أكثر دواوين لوركا شعبية (حكايا غجرية) الذي لاقى نجاحاً مباشراً في اسبانيا وفي جميع البلاد الناطقة بالاسبانية . يتضمن الديوان حكايا شعرية يدور معظمها حول موضوع الغجر كتبت على طريقة الحكايا الشعرية التقليدية بقافية لكل بيتين ، وهي ذات بساطة تنم عن مهارة الشاعر الفنية ؛ ونجد فيها مجمل المزايا التي يتحلى بها

شعره : الشعور الحاد والحسية ، اللذان يؤلفـــان كامل الميثولوجيا الغجرية . ثم ذلك الإدراك للموت ، والاستعارات الرائعة غير السطحية. وكما في جميع شعر لوركا لانعدم وجود سابقين له في كثير من شعره ، ففي الأبيات الأولى من (حكاية الساري في النوم) أكثر من مذكر بقصيدة (خوان رامون خيمنيث) ومطلعها : « الصبيـــة خضراء ، عيناها خضراوان ، شعرها أخضر .. » ولكن التشابه لا يعدو ذلك ، مثلما كانت أغنية البغال نقطة البدء في قصيدة الزوجة الخائنة. بل يمكن أن يكون السبق أوضح عند غونغورا في قصيدته (أصوات خضراء) مثلاً أو في الأغاني الشعبية .ولكن ذلك كله لا يؤكد غير حقيقة واحدة هي أن لوركا كان مغموساً بالتراث الاسباني ، التراث الذي ينتهي في رأيه عند خوان رامون خيمنيث .

يصل لوركا في الحكايا الغجرية إلى اتحاد تام بين الشعبية والفنية ، بين التقليدي والعصري ، ولعل في هذا يكمن التقبل العالمي للكثير من شعره . فليس عند لوركا من فاصل بين الحداثة والتراث بل إن التراث إنما يواصل الحياة بالجدة التي تدنيه من الشعر .

لم يكن يكتب ؛ كغالبية شعراء عصره ، للخاصة بل كان يقول : « أريد للصور التي استمدهـــا من شخصياتي أن تفهمها تلك الشخصيات نفسها . » فقد فطر على الرغبة في أن يفهمه كل انسان ، ويحبه كل إنسان من خلال شعره ؛ وهذا ما حققه بلا ريب . فحتى الذين ليس لهم ميول أدبية يفهمونه ،وإن لم يفهموا تمام الفهم فهم على الأقل يحسون ما يقوله الشاعر . يقف عند هذه النقطة ارتوريوباريا في كتابه (لوركا:

الشاعر والشعب) ويعرض شواهد على استجابات عمال بسطاء وهم يسمعون شعر لوركا . إن شعره يستدعي بوقع ألفاظه الحسية انطباعات بصرية ، وهذا ما وهب الحكايا الغجرية وقعها العاطفي المسرحي . إذ نحس احساساً قوياً بتصادم العواطف الاساسية المنسوجة في القصة ، بالحب وبالأسى وبالموت الموضوع الذي تدور حوله غالبية القصائد الغجرية ،وأشد عناصر الديوان سيطرة على العقل . يقول لوركا: « إن الروح المبدع لايتجلى إن لم يتوقع الموت ... » واسبانيا المسيرة بالروح المبدع لابد : « .. أمة موت .. أمة مفتوحة للموت ... إن رجلاً ميتاً في اسبانيا هو أكثر حياة في موته منه في أي مكان آخر... اسبانيا بلد أهم مافيه ما يبلغ أعنف صورة للموت ... » وتلك حقيقة اساسية مستمرة منذ أقدم الأغاني الاسبانية . وأروع قصائد لوركا ، كما سنرى ، أو حى بها موت صديقه مصارع الثيران إغناثيو سانشيث ميخياس .

وقد يبدو من المحير أن الشعبية التي نالها لوركا من حكاياه الغجرية قد ثقلت على كاهله . فهو يرغب عن الألقاب ويكره أن يدعى شاعر الغجر ، وقد قال : « ليس الغجر إلا موضوعاً . ويمكنني بالمهارة نفسها أن أكون شاعر إبر الخياطة أو الشلالات المولدة للكهرباء . » ثم أمضى فترة حزن عميق . وحين كتب لأحد أصدقائه : « . . أكتب الآن شعراً يستدعي تفتح الشرايين ، شعراً متحرراً عن الواقع . » أصبح الطريق مفتوحاً أمام (شاعر في نيويورك) .

لم يتردد حين سنحت له فرصة الارتحال إلى الولايات المتحدة . وصل

إلى نيويورك في صيف عام ١٩٢٩ وبوساطة أصدقاء دار الطلبة قبل في جامعة كولومبيا والتحق بدورة لتعليم الأجانب اللغة الانكليزية ، ثم انسحب منها بعد اسبوع شاعراً أنه غير قادر على تعلم اللغة . وأقام في جامعة كولومبيا حتى ربيع العام التالي ، وقام برحلات قصيرة إلى أرياف فيرمونت.

وأخذ بكتابة القصائد التي جمعت بعد ذلك تحت اسم (شاعر في نيويورك) وطبعت عام ١٩٤٠ . لم يكن يتخيل ما سيراه من أوهام في أمريكا :

جئت لأرى الدم الكدر
الدم الذي يحمل الآلات إلى الشلالات
وأرواحنا إلى لسان أفعى

وكانت نيويورك في نظره مدينة فن معماري زائد عن حاجة الإنسان ، مدينة الايقاع الصاخب ، والهندسة ، والهلع . وأثار ذلك العالم الغريب عن أندلسه المغمورة بضوء الشمس صراعاً في عالمه الشعري ، وليس من يتوقع أن ينطق لوركا الآن بالصوت الذي غنى به (اغان) أو حكى فيه (الحكايا الغجرية) . لابد له من أسلوب جديد يعبر فيه عن مشاعره المعقدة ووجد في الصور السيريالية الصيغة التي تلائم حالته الراهنة . وقد سبق له أن قام ببعض التجارب في هذا المضمار قبل أن يغادر مدريد مثل (قصيدة إلى سانتيمو ساكر امنتودي ألتار) و (قصيدة إلى سالفادور دالي) وبعض القطع النثرية ذات الطابع السيريالي حصيلة ارتباطه الوثيق بدالي والفنانين السيرياليين الاسبان ، كما كانت

له قبل (شاعر في نيويورك) رسومه التجريدية ودفاعه الشعبي عن أعمال خوان ميرو ودالي ، وقسطه الأوفى في البيان السيريالي المقترح. تلك التجارب السابقة لا شك ينساها أولئك الذين ينظرون إلى هذا الديوان على أنه نسيج وحده لا يمثل أعمال لوركا . وهذا قد يفسر لماذا كان (شاعر في نيويورك) أقل أشعاره وضوحاً وخاصة في البلاد الناطقة بالاسبانية . والحق أن أكثر خصائص لوركا الأساسية موجودة هنا ولكن في في سياق التطورات السيريالية ، وفي مسرحية الزنوج والبيض أسرى عالم الآلة التي استبدل بها مسرحية الغجر . وما أصدق مشاعره مع مع الزنوج وأحرها :

لا هلع يساوي حمرك المضطهدين

وارتعاش دمك عند ظلمة الكسوف ،

وعنفك العقيقي الأصم الأبكم في العتمة

وإذا كان (شاعر في نيويورك) عملاً سيرياليا فتلك سيريالية خاضعة لأسلوبه الخاص . ففي شعره توتر لا يوجد في أعمال السيرياليين الآخرين ، وولوع شديد بالحقيقة المجسمة وبالصور الخيالية التي تنبعث منها . وكما كان يستخدم اساليب التراث الاسباني لأغراضه فهو الآن يستخدم السيريالية التي يشير في بعض القصائد إلى تشابه مع وولت ويتمان الذي قرأه مترجماً أثناء إقامته في نيويورك ، وقد رأى ذلك بوضوح كونراد إيكن حين كتب : « لقد التهم لوركا جميع خصائص السيرياليين وخضب خديه بها ، مثل ساحر ثم نفخها قصائد من فمه — لكن هذا ما يفعله بكل شيء يفعم به . » إذن على الرغم من تفرد

(شاعر في نيويورك) الظاهري فإنه يسير في الجدول الرئيسي لأعمال لوركا ، وهو ديوان ذوقيمة شاعرية ومسرحية معقدة وشديدة الواقعية .

شعر في ربيع عام ١٩٣٠ بحاجة إلى مناظر أبهج وحين تلقى دعوة ليحاضر في هافانا قبلها بسرور ومضى نحو « تلك الجزيرة ذات الشمس المحرقة » وأقام في كوبا نحو شهرين سعيداً بجو الجزيرة اللاتيني واكتشف في ايقاع الأغاني الكوبية ذلك التراث الاسباني الذي يعرفه حق المعرفة . ولعل هذا ما غير مزاجه وعاد به إلى نبع إلهامه الاصيل ، إلى جذور أكثر رسوخاً بالأندلس واسبانيا والدين ، التي تشكل في مجموعها أسس عمله . وكانت المحاضرتان الرئيسيتان اللتان ألقاهما في كوبا إحداهما عن أغاني الأطفال والاخرى عن (الدوينده) الروح ، لا الروح الشبحي كما تدل الترجمة الحرفية لهذه الكلمة بل الروح المبدع الحي الذي يعرفه كل فنان أندلسي .

وعند عودته إلى اسبانيا أقام فترة في بيت أبيه الريفي قرب غرناطة لتبدأ أكثر فترات حياته خصباً . فقبل نهاية عام ١٩٣٠ قدمت في مدريد مسرحيته الشعرية (زوجة الاسكافي المدهشة) التي بدأها في نيويورك . ثم أخذت قصائده في نيويورك تظهر في الدوريات المختلفة وخاصة في مجلة الغرب التي كال يديرها اورتيغا وغاسيت . وفي السنة التالية نشر ديوانه الجديد (قصيدة الاغنية العميقة) ذلك الديوان السابق لديوان (اغان) والذي استلهمه لوركا من الأيام التي نظم فيها مع دي فالا مهرجان الكانتي خوندو (الاغنية العميقة) . ويمكن أن

يكون ماقاله لوركا عن ذلك المهرجان وصفاً لهـذا الديوان : « في كشفنا عن أغنيتنا التليدة إنما نحاول أن نكشف روح الأندلس » وهنا يستخدم الشاعر عناصر الفن الشعبي التي نهل منها عن غير وعي في مستهل حياته مضيفاً إليها ما استمده بوعيه من بحوثه في الشعر الشعبي . كان شديد الإيمان بقيمة مشاعر الريف المجهول الذي : « يلخص بثلاثة أبيات أو أربعة ما في أسمى اللحظات الشعورية في حياة الإنسان من تعقيد نادر . بعض المزدوجات تبلغ فيها العاطفة الغنائية درجة لا يبلغها إلا القلة النادرة من الشعراء .

السياج يحجب القمر .

حبيبي مات .

في هذين البيتين الشائعين أكثر مما في مسرحيات ماترلنك من أسرار ، اسرار بسيطة صافية نقية . . . » .

مع قيام الجمهورية وجد الفرصة سانحة لتقديم المسرح إلى الشعب فعرض على الحكومة مشروعاً لمسرح جوال يقوم فيه بالتمثيل طلاب من الجامعة . وقد تحقق هذا المشروع في الصحبة (لا باراكا) التي ارتحلت على طريقة الممثلين الجوالين إلى أقصى القرى الاسبانية تعرض مسرحيات للوبي دي فيغا و كالدرون وغيرهما من الكلاسيكيين الاسبان ترافقها غالباً موسيقى من إعداد الشاعر الذي كان مديراً عاماً ومخرجاً . كان هؤلاء النظارة الفلاحون البسطاء يشاهدون مسرحية لأول مرة فأصغوا لها بوقار وتقدير وكان لهذه الاستجابة البسيطة أن زودت لوركا بخبرة نفسية يستفيد منها في مسرحياته التي سيكتبها .

قُدمت أول مأسيه الشعرية (عرس الدم) في مدريد عام ١٩٣٣ ولاقت نجاحا سريعاً فحمل تلك المسرحية إلى بوينس ايرس فنال النجاح نفسه . وأقام هناك حتى الربيع التالي يساعد في إعداد المسرحية ويلقي بعض المحاضرات ويقدم مسرحية ناجحة للوبي دى فيغا .

وعند عودته إلى اسبانيا كانت (يرما) مأساته الثانية تقدم على مسرح مدريد عام ١٩٣٤ وهي كسالفتها مسرحية عن حياة الريف الاندلسي وتتناول العقم موضوعاً لها .ثم أتم الثلاثية بـ (بيت برناردا ألبا) التي نشرت وعرضت بعد وفاته وهي مسرحية واقعية عنيفة كتب معظمها نثراً ، فيها خمس بنات يعشقن رجلا واحداً وتضطهدهن أم ظالمة .

إن مسرحيات لوركا تنبع من النبع الذي نهل منه شعره وقد وقف عليها جزءاً كبيراً من حياته . لقد آمن أن المسرح هو الشعر وقد جعل إنسانياً . وكان شعوره بحاجته إلى الصلات الانسانية سبباً في تعلقه الشديد بالمسرح الذي زوده بدوره بالوسائل التي يعبر فيها عن نفسه بشكل مسرحي فطر عليه شعره . ولكن المأساة لم تظل الآخذ الوحيد بلب اهتمامه فقد أخذ يكتب مسرحية روما نسية ذات نهاية موضوعة في القرن التاسع عشر ، عن الحياة البورجوازية في غرناطة وهي (العانس دونا روزيتا أو لغة الزهور) قدمت في برشلونه عام ١٩٣٥ وهي مسرحية « سخرية حلوة » كما وصفها . وكان إلى جانب ذلك مسرحيات أخرى مثل (بعد مضي خمس سنوات) التي طبعت بعد وفاته وهي تكاد تكون ملهاة سير يالية .

خلال هذه السنين الخصبة لم يهجر كتابة الشعر الخالص . وبينما كان

بعد (ديوان التماريت) فجع بمصرع صديقه الحميم مصارع الثيران إغناثيو سانشيث ميخياس فكتب دون توقف تقريباً مرثيته الرائعة في أربع حركات وهي إحدى روائع الشعر الاسباني المعاصر . وقد استخدم لكل فقرة أو حركة منهاوزناً خاصاً لتقوية الاثر المسرحي للعمل بمجموعة :

الموت منتصر في النهاية .

والثور وحده جذلان القلب

هذه المرثية التي هي أكثر قصائده نضوجاً وحدة يتبلور كل ما في ذهنه الشاعري من خصب وإن ما قاله لوركا في صديقه ليصدق فيه نفسه :

سيمر زمن طويل ليولد ، إن ولد ،

أندلسي بهذا الصفاء ، وهذا الغنى في المغامرة .

وبينا كان ينهي الجزء الثالث من ثلاثيته (بيت برناردا البا) كان يعمل في ديوان غزل (نجوى الحب المحزون) وضاعت مخطوطة هذا الديوان ، الوحيدة كما يبدو ، في غمرة الحرب الأهلية . ويتجلى عظم الخسارة فيما قاله صديقه الشاعر فيثنه الكسندر : « كان ينشدني أشعار الحب المحزون ، أعجوبة العاطفة والحمية والسعادة والعذاب ، نصب الحب الذي جبل الشاعر مادته الأولى من كيانه وقلبه وروحه المتفتحة على دماره . فحدقت فيه مأخوذاً وقلت : فيديريكو ! أي قلب لك ! ما أكثر ما أحببت وما أعظم ما قاسيت ! » .

ثم بترت تلك الجريمة الدنيئة حياة الشاعر وهو في أوج نموه الفني . كانت شخصيته وشعره كلا لا يتجزأ وما أوجبه للشاعر غو نغورا يمكن أن يكون له : « غونغورا ! ليس المهم أن يقرأ بل أن يحب » .

كتاب الأشعار

١٩٢١

يغني الاطفال
في الليل الهادىء :
أيها الجدول الرقراق ،
أيها النبع الصافي !

الأطفال :

ماذا يملأ قلبك الإلهي
الفرح ؟

أنا :

رنين اجراس
ضائعة في الضباب .

الأطفال :

ترحل عنا شادياً
في الساحة الصغيرة

أيها الجدول الرقراق ،
أيها النبع الصافي !

ما تحمل بيديك
الربيعين ؟

أنا :

وردة من دم
وزنبقة

الاطفال :

بللها بماء
الأغنية التليدة .
أيها الجدول الرقراق ،
أيها النبع الصافي ؟
ماذا تحس بفمك
الوردي الظمىء

أنا:

طعم عظام

جمجمتي الضخمة

الاطفال:

أشرب من هاذى، مياه

الأغنية التليدة .

أيها الجدول الرقراق ،

أيها النبع الصافي !

فيم ترحل نائيا

عن الساحة الصغيرة ؟

أنا :

لأبحث عن سحرة

وأميرات !

الاطفال :

من دلك على درب

الشعراء ؟

أنا :

نبع الأغنية التليدة
وجدولها .

الاطفال :

أترحل بعيداً ، بعيداً جداً
عن البحر والأَرض ؟

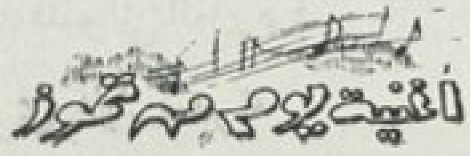
أنا :

قلبي الحريري
تغمره الأضواء ،
والأجراس الضائعة ،
والزنابق والنحل ،
وسأرحل بعيداً جداً
أبعد من هذه التلال
أبعد من هذه البحار
وأدنو من النجوم ،
لأسأل المولى يسوع

أن يعيد لي
روح طفولتي الغابرة ،
نشوى بالأساطير ،
والقبعة ذات الريش
والسيف الخشبي .

الاطفال:

ترحل عنا شاديا
في الساحة الصغيرة .
أيها الجدول الرقراق ،
أيها النبع الصافي !
الأغصان الذابلة ،
بأحداقها الواسعة ،
وقد جرحتها الريح ،
تبكي الاوراق الميتة .



تتقلد الثيران
جلاجل ضخمة من الفضة

ـ أين ترحلين : ياصغيرتي
يابنت الشمس والثلج ؟

ـ إلى الأقاحي
في المرج الأخضر .

ـ المرج نا، بعيد
ومليء بالرهبة .

ـ حبي لا يفزع من
مالك الحزين ولا الظلال .

ـ ارهبي الشمس ياحلوتي ؛
يا بنت الشمس والثلج !

ـ غابت عن جدائلي
إلى الأبد

ـ من أنت ، أيتها الصبية البيضاء ؟
من أين جئت ؟

ـ جئت من الحب
ومن الينابيع .

الثيران تتقلد
جلاجل ضخمة من الفضة .

ـ ماذا تحملين في ثغرك
ناشراً عليك الضياء ؟

ـ نجم حبيبي
الذي يحيا ويموت

ـ ماذا تحملين في صدرك
رهيفا حادا ؟

ـ سيف حبيبي

الذي يحيا ويموت

ـ ما هذا السواد والكآبة
في عينيك ؟

ـ ذكراي الحزينة
الممضة إلى الأبد .

ـ لم ترتدين معطف
الموت الأسود ؟

ـ أواه ! أنا الأرملة الفقيرة ،
في العوز والبؤس ،
أرملة سيد مجد
الأمجاد !

ـ عمن هنا تبحثين
ما دمت لا تحبين أحداً ؟

ـ أبحث عن جسد سيد
الأمجاد .

ـ أتبحثين عن الحب ،

أيتهـا الأرملة الزائفة
تبحثين عن حب
آمل أن تلقيه .

ـ صغار نجوم السماء
مرادي
أين القى حبيبي
الذي يحيا ويموت ؟
ـ أنه مسجى في الماء
ياصبية الثلج
مغطى بالحنين
والقرنفل .

ـ أواه : يا فارس
السرو الجوال
ليلة قمراء
تهديك روحي .

ـ يا ايزيس الحالمة !

صبية بلا حلاوة ،
على شفاه الأطفال
تتردد حكايتها
أهديك قلبي .
قلباً حنوناً ،
جرحته عيون
النساء .
ـ أيها الفارس الشهم
كان الله معك
سأرحل لأبحث عن سيد
الامجاد .
ـ وداعاً ، ياصبيتي الحلوة ؛
يا وردة نائمة ،
أنت إلى الحب ترحلين
وأنا إلى الموت .
الثيران تتقلد
جلاجل ضخمة من الفضة .
قلبي ينزف
مثل نبع .

اغنية ماء البحر

البحر
يبتسم على المدى
أسنان الزبد ،
شفاه السماء .

ـ ماذا تبيعين أيتها الشابة المهمومة
بنهديك العاريين ؟

ـ ابيع ، ياسيدي ، ماء البحار .

ـ ماذا تحملين ؛ أيتها الشابة السمراء
مشوبا بدمك ؟
ـ أحمل ياسيدي ماء البحار .
ـ هذه الدموع المالحة
من أين تجيء ، يا أماه ؟

ـ أبكي ؛ ياسيدي ، ماء البحار .

ـ وهذه المرارة الكئيبة ياقلب ،

من أين تنبع ؟

ـ ما أشد مرارة ماء البحار .

البحر

يبتسم على المدى

أسنان الزبد ؛

شفاه السماء .

حلم

قلبي يرقد عند العين الباردة .
(أفعمه بخيوطك

يا عنكبوت السلوان)
غناه ماء العين أغنيته
(أفعمه بخيوطك

يا عنكبوت السلوان)
قلبي اليقظان غنى حبه
(يا عنكبوت الصمت
انسج غموضك)
ماء العين أصغى حزيناً
(يا عنكبوت الصمت
لنسج غموضك)

قلبي يهون في العين الباردة

رأيتها الايدي البيضاء في البعيد
أو قفي المياه

ويجرفه الماء مغنياً بفرح)
(أيتها الأيدي البيضاء النائية
لاشيء يبقى في المياه.)

أغان جديدة

يقول الاصيل : «أنا ظمآن إلى ظل !»
يقول القمر : « أنا ظمآن إلى
كواكب »
النبع البلوري يلتمس الشفاه
والريح تطلب التنهدات .
أنا ظمآن إلى العبير والضحك ،
ظمآن إلى أغان جديدة
ليس فيها أقمار ولا زنابق
ولا حب ميت .

أغنية الغد التي ستثير
مياه المستقبل الراكدة
وتملأ موجها ووحلها
بالأمل .

أغنية ناعمة متألقة
غنية بالفكر ؛
نقية من الغم والندم
ونقية من الأوهام .
أغنية بلا جسد غنائي تملأ
السكون بالضحكات
(سرب حمائم عمياء
مرمية إلى المجهول) .
أغنية تبلغ روح الأشياء
وروح الرياح
وتستقر في النهاية في فرحة
القلب الخالد .

رغبة

قلبك الدافيء وحده ،

لاغير .

فردوسي : حقل بلا عندليب

ولا قيثارات ،

ذو نهر وديع

ونبع صغير •

بلا مهماز ريح

فوق الاوراق

ولا نجم يرغب في أن

يكون ورقة شجر

ضوء غامر

ذاك الذي يكون يراعة

لضوء آخر ،

في حقل من النظرات الكسيرة .

أمن صاف

حيث قبلاتنا ،

ترجيعات الصدى

الرنانة

تتفتح في المدى

وقلبك الدافىء

لا غير .

قصيدة الأغنية العميقة

١٩٢١

أغنية الأنهر الثلاثة

نهر الوادي الكبير
ينساب بين أشجار البرتقال والليمون
نهرا غرناطة
ينحدران من الثلج إلى القمح .

أيها الحب
الذي رحل ولم يعد !
لنهر الوادي الكبير
لحية بلون العقيق .
نهرا غرناطة .
أحدهما نحيب والآخر دم .

أيها الحب
الذي رحل مع الريح !

للسفن ذات الشراع
طريق اشبيلية .
وفي مياه غرناطة
لاتجذف غير الآهات .
أيها الحب
الذي رحل ولم يعد .
الوادي الكبير ، وبرج سامق ،
وريح في بيارات البرتقال .
(دَوْرو) و شَنبل) برجان
ماتافوق الغدران .

أيها الحب
الذي رحل مع الريح .

من يقول أن الماء يحمل
برق الصيحات الختّلب !
أيها الحب

الذي رحل ولم يعد ،

خذي أزهار الليمون ، خذي الزيتون ،

يا أنفاس إلى بحارك

أيها الحب ،

الذي رحل مع الريح

منظر

حقل
الزيتون
يضيق ويتسع
مثل مروحة .
فوق كرم الزيتون
سماء عميقة
ومطر داكن
من نجوم باردة .
القصب يرتعش مع الظلمة
على شاطىء النهر .
الهواء الرمادي يموج
أشجار الزيتون
تعج

بالصرخات .

سرب

عصافير أسيرة ،

تحرك أذيالها المديدة

في الظل .

الغيتار

يبدأ نحيب
الغيتار
تتكسر أقداح
الفجر
يبدأ نحيب
الغيتار
لاجدوى من إسكاته .
مستحيل
إسكاته .
يبكي برتابة
كما يبكي الماء
كما تبكي الريح
فوق الثلج
مستحيل

إسكاته .

يبكي أشياء نائية .

رمال الجنوب الحار

التي تسأل عن الزنابق البيض

يبكي سهماً بلا هدف ،

إمساء بلا أصباح ،

وأول عصفور مات

على غصن

أيها الغيتار

القلب جرحته

سيوف خمسة .

قرية

على الجبل الأجرد
طريق الجلجلة
ماء صاف
وزيتونات عمرت القرون .
في الأزقة
رجال ذوو معاطف
وعلى الأبراج
تدور الطواحين ؛
تدور
إلى الأبد
أيتها القرية الضائعة
في أندلس النحيب !

خطوة

عذراء ياذات التنورة
ياعذراء وحدتي
المتفتحة كزهرة
خزامى كبيرة .
في زورق أنوارك
تمضين
عبر مد المدينة
بين ترانيم راعشة
ونجوم من بلور
عذراء ياذات التنورة
أنت تمضين
عبر نهر الدرب
حتى البحر .

رحلة

مئة فارس في ثياب الحداد ،
أين هم راحلون
تحت واطيء سماء
بيارة البرتقال ؟
لن يصلوا
لا إلى قرطبة ولا إلى اشبيلية
ولا إلى غرناطة المتنهدة
على البحر .
هذه الجياد الغافية
تمضي بهم
إلى متاهة المصلبات
حيث ترتجف الأغنية .
بأحزانهم المسمرة السبعة .
أين يرحل
الأندلسيون المئة ،
فوارس البيارة ؟

لولا

تحت شجرة البرتقال تغسل
أقمطتها القطنية .
عيناها خضراوان .
وصوتها بنفسجي .
أيتها الحبيبة !
تحت شجرة البرتقال المزهرة !

ماء الساقية
فاض بالشمس ،
وعلى الزيتونة الصغيرة
زقزق الدوري .
أيتها الحبيبة !
تحت شجرة البرتقال المزهرة !
وبعد ، حين تذيب
لولا كل الصابون ،

يأتي مصارعو الثيران .

أيتها الحبيبة !

تحت شجرة البرتقال المزهرة !

مالاغينيا

الموت
يغدو ويروح
من الحانة.

خيول سوداء
وناس أشرار
يذرعون عميق دروب
الغيتار.

وهناك رائحة ملح
ودم امرأة
في محموم ناردين
شاطئ البحر.

الموت
يغدو ويروح،

ويروح ويغدو
موت
الخانة .

أغاني

١٩٢١ - ١٩٢٤

أغنيّة الفارس
١٨٦٠

تحت قمر قطاع الطرق
الأسود .
يغني المهازان . . .
أيها المهر الأسود
أين تمضي بفارسك القتيل ؟
... المهازان القاسيان
لذلك اللص الهامد
الذي أضاع أعنته .
أيها المهر البارد
يا لعبير زهرة السكين !
تحت القمر الأسود
نزفت سفوح
سييرا مورينا .

أيها المهر الأسود
أين تمضي بفارسك القتيل ؟

الليل يهمز
خاصرتيه السوداوين
المثقبتين بالنجوم .

أيها المهر البارد
يالعبير زهرة السكين !

تحت القمر الأسود
صرخة ! وقرن
نار طويل .

أيها المهر الأسود
أين تمضي بفارسك القتيل ؟

أغنية الفارس

قرطبة
نائية ووحيدة

مهرة سوداء ، وقمر بدر ،
وزيتونات في جيوب سرجي .
رغم أني أعرف الدروب
فلن أصل إلى قرطبة .

عبر السهول ، عبر الريح
مهرة سوداء ، وبدر أحمر
الموت يترصدني
على أبراج قرطبة

أواه ! ما أطول الطريق !
أواه ! يا مهرتي الشجاعة !
أواه ! الموت يترصدني
قبل أن أبلغ قرطبة !

قرطبة .

ثانية ووحيدة .

حقاً !

أواه ! ما أقسى أن
أحبك هذا الحب !

في حبك يؤلمني الهواء ،
وقلبي ،
وقبعتي .

من يشتري
حزامي
وحزن هذا الخيط الأبيض
لينسج منه المناديل ؟

أواه ! ما أقسى أن
أحبك هذا الحب !

أغنية

الصبية ذات الوجه الجميل
تجني الزيتون.
والريح، عاشق الأبراج،
يلف خصرها.

مر أربعة فرسان
على أفراس أندلسية
في ثياب خضراء وزرقاء
ومعاطف سوداء طويلة.

– تعالي إلى قرطبة يا جميلة
الصبية لا تكترث.
مر ثلاثة مصارعي ثيران
ذوي خصور نحيلة

في ثياب برتقالية ،
حاملين سيوفاً من فضة عتيقة .
- تعالي إلى اشبيلية ، ياجميلة .
الصبية لا تكترث .

حين صار المساء بلون الأرجوان
بنوره اللألاء ،
مر شاب يحمل
الورود وريحان القمر .

- تعالي إلى غرناطة يا جميلة
والصبية لاتكترث .

الصبية ذات الوجه الجميل
تظل تجني الزيتون
وذراع الريح الرمادية
تلف خصرها .

القمر يهل

حينما يطلع القمر
تغيب النواقيس
وتظهر الدروب
اللاحبة .

حينما يطلع القمر .
يغطي البحر الارض
ويحس القلب نفسه
جزيرة في الأبد .
لا أحد يأكل البرتقال
في ضوء البدر .
انما تؤكل
الفواكه خضراء ومثلجة .
حينما يطلع القمر

ذو الوجوة المتماثلة المثه ،
فإن النقود الفضية
تنتحب في الجيب .

سيريناتا

(ولاء للوبي دي فيغا)

على ضفاف النهر
الليلة تستحم
وفي نهود لوليتا
تموت الغصون حباً

تموت الغصون حباً.

الليلة تغني عارية
على جسور آذار .
لوليتا تستحم
بالماء المالح والمسك .

تموت الغصون حباً

ليلة العرق[1] والفضة

تتألق على الاسطحة .
فضة الجداول والمرايا .
عرق فخذيك الابيضين .

تموت الغصون حبا

الطِفلُ الأبْكَمْ

الطفل يبحث عن صوته .
(حمله ملك الجنادب)
في قطرة ماء
كان الطفل يبحثُ عن صوته

لا أريده لأنطق به
فسأصنع منه خاتماً
يضعه صمتي
في اصبعه الصغير

في قطرة ماء
كان الطفل يبحث عن صوته

وكان الصوت الأسير ، في المدى
على ظهر جندب

انتحار

(لعل ذاك حدث لانك تجهل الهندسة)
كان الفتى ينسى نفسه)
كانت العاشرة صباحاً

كان قلبه يفعم
بأجنحة كسيرة وأزهار من قماش

أحس أنه لم يعد
في فمه غير كلمة واحدة

وحين انتزع قفازيه
سقط من كفيه رماد ناعم

كان يُرى من الشرفة برج
فظن نفسه شرفة وبرجا

رأى ، لا شك ، كيف كانت ترقبه
الساعة المتوقفة في صندوقها

رأى ظله الهادىء المتمدد
على المقعد الحريري الابيض

حطم الفتى القاسي الهندسي
المرآة بالبلطة .

ولدى تحطيمها غمر سيل ظلال
المخدع الوهمي.

وداعاً

إذا مت
فدعوا الشرفة مفتوحة

الطفل يأكل البرتقال.
(من شرفتي أراه.)

الفلاح يحصد القمح.
(من شرفتي أسمعه.)

إذا مت
فدعوا الشرفة مفتوحة.

غرناطة و ١٨٥٠

من غرفتي
أسمع النبع .

عريشة الكرمة
وضوء الشمس
يومئان إلى حيث
قلبي .

مع رياح آب
تنساق الغيوم
وحلمت أني لا أحلم
في قلب النبع .

أغنية البرتقالة الذابلة

أيها الحطاب !
اقطع ظلي .
أنقذني من عذاب
أني بلا ثمر .

لم ولدت محاطة بالمرايا
يمر النهار عليّ
ويحاكيني الليل
بكل نجمة من نجومه .

أريد أن أحيا من غير أن أرى نفسي
وسوف أحلم أن النمل
والصقور هي
أوراقي وعصافيري .

أيها الحطاب !

اقطع ظلي .
أنقذني من عذاب
أني بلا ثمر .

حكايا غجرية

١٩٢٤ - ١٩٢٧

حكاية القمر، ياقمر!

القمر يدخل دكان الحداد
بثوبه العنبري .
الصبي ينظر اليه ينظر .
الصبي اليه ينظر ،
في الهواء المثار
يحرك القمر ذراعيه
ويكشف ، عاهرا وطاهرا .
صدره القصديري القاسي .

ـ اهرب ياقمر ، ياقمر ، ياقمر .
فإذا جاء الغجر
صنعوا من قلبك
عقودا وخواتم بيضاء .

ـ دعني أرقص ايها الطفل ،

وحين يأتي الفجر ،
يجدونك على السندان
مغمضا عينيك الصغيرتين
ــ اهرب ياقمر ، ياقمر .
إني أسمع وقع خيولهم .
ــ أيها الطفل ، دعني ، لاتدس
على بياضي المنشى .

أخذ الفارس يقترب
ناقراً على دف السهل .
وفي داخل الدكان كان الصبي
مغمضاً عينيه .

من حقل الزيتون طلع الفجر ؛
كالبرونز والأحلام .
الرؤوس شامخة
والعيون ناعسة .
كيف ينعق البوم

أواه ، كيف ينعق على الشجرة !
إلى السماء رحل القمر
وبيده طفل .
وفي داخل الدكان يبكي
الغجر ويصرخون .
الهواء يحرس ، يحرس .
الهواء يحرسه .

الصراع

في قلب الوادي
نصال الأمواس المشرعة ،
وهي مزدانة بدم الأعداء ،
تبرق كأنها الأسماك .
ضوء ورقة لعب قاس
يخطط على الخضرة الحادة
خيولا هائجه
وظلالا لفرسان .
وفي قلب زيتونة
تنتحب عجوزان .
ثور الصراع
يتسلق الجدران .
ملائكة سود أتوا

بالمناديل وماء الثلج .
ملائكة بأجنحة كبيرة
من نصال الامواس .
خوان أنتونيو من مونتيلا
يرتمي علي المنحدر صريعاً ،
تحف بجسده الزنابق ،
ورمانة فوق جبينه .
الآن يمتطي صليبا من نار
على درب الموت .
القاضي، والحرس الأهلي،
يطلعون من حقل الزيتون .
الدم المنثال ينوح
بأغنية أفعى خافتة .
ـ أيها السادة جنود الحرس الأهلي
هاهي ذي الحكاية القديمة .
هنا مات أربعة رومان
وخمسة من قرطاجنه.

المساء ؛ هاذيا مع أشجار التين
والتمتمات الحارة ،
يهوي على أفخاذ الفرسان المجرحة
ملائكة سود تحوم
في جو الغروب
ملائكة ذوو جدائل طويلة
وقلوب من الزيت .

حكاية السارى فى النوم

خضراء ، أحبك خضراء .
الريح خضراء ، الغصون خضراء
المركب في البحر
والجواد على الجبل .
على شرفتها تحلم
والظل على خصرها ،
جسداً أخضر وشعراً أخضر ،
وعينين من فضة باردة .
خضراء ، أحبك خضراء .
تحت القمر الغجرى
ترنو إليها الأشياء
وهي لا تراها .

خضراء أحبك خضراء .
نجوم ضخمة من الثلج

تجيء مع سمكة الظلمة
التي تشق الطريق للفجر .
شجرة التين تمسح هواءها
بمخمل أغصانها
والجبل ، كقط سارق ،
ينفش صباره الفج .
ولكن من القادم ؟ ومن أين ... ؟
على شرفتها تتكىء
جسداً أخضر ، وشعراً أخضر ،
تحلم بالبحر المر .
ـ أيها الصديق أود لو تبادلني ،
دارك بحصاني ،
ومرآتك بسرجي ،
وشملتك بسكيني ،
أيها الصديق جئت ودمي ينزف
من دروب كابرا .
ـ لو أستطيع أيها الشاب

لتمت هذه الصفقة .
غير أني لم أعد أنا
وداري لم تعد داري .
ـ أيها الصديق ؛ أريد أن أموت
بكرامة على فراش ،
من فولاذ ، لو يكون ،
عليه شراشف هولندية من كتان .
ألا ترى جرحي الممتد
من الصدر حتى الرقبة ؟

ثلاثمئة وردة سمراء
يحملها قميصك الأبيض .
دمك فائح ينضح .
حول زنارك .
غير أني لم أعد أنا
وداري لم تعد داري .
ـ دعني أصعد على الأقل
إلى الشرفات العالية ،

دعني أصعد ! دعني ؟
إلى الشرفات الخضراء ،
شرفات القمر ،
حيث خرير المياه .
الآن يصعد الصديقان
إلى الشرفات العالية .
مخلفين شريطاً من دم .
مخلفين شريطاً من دموع .
فوانيس صغيرة من قصدير
ارتعشت على الأسقف .
ألف دف من البلور
جرّحوا الفجر .

خضراء أحبك خضراء ،
رياحاً خضراء ، غصوناً خضراء .
صعد الصديقان .
الريح الثائرة أبقت
في الفم طعماً غريباً

للعفص والنعناع والريحان.

ـ أيها الصديق! أين هي؟ قل لي ،
أين هي فتاتك المحزونة ؟
ما أطول ما أنتظرتك ،
ما أطول ما ستنتظر ،
وجهاً بارداً وشعراً أسود .
على هذه الشرفة الخضراء
على وجه ماء الحوض
ترنحت الغجرية .
جسداً أخضر وشعراً أخضر ،
وعينين من فضة باردة .
ثلوج قمرية
طفت بها على الماء
أصبح الليل ودوداً
كساحة صغيرة .
الحرس الأهلي المخمورون

يخبطون الباب .
خضراء أحبك خضراء .
الريح خضراء، الغصون خضراء.
المركب في البحر ،
والجواد على الجبل

الراهبة الغجرية

صمت الزيزفون والآس .
خبيزة بين العشب الناعم
الراهبة تطرز المنثور
على قماش بلون القش .
وفوق الشمعدان الرمادي
تطير عصافير الموشور السبعة .
الكنيسة تدمدم على الأفق
كدب على ظهره .
ما أجمل تطريزها ! ما أرشقه !
على القماش الأصفر
تهوى أن تطرز
زهرات وهما .
أي عباد شمس ! . أية منوليا

من الأشرطة والبراق !
أي زعفران وأية أقمار
على حجاب الهيكل !
خمس كبادات تعقد
في المطبخ القريب .
جراح المسيح الخمسة[1]
قطفت في الميريا .
في عيني الراهبة
يعدو قاطعاً طريق
هبة ريح ناعسه قصية
ترفع قميصها ،
وحين ترنو إلى الغيوم والتلال
في الأبعاد الموحشة
يذوب قلبها
السكرى العطر .

---

(١) اسم شائع لنبات (أبو خنجر) ولعل ذلك لكون زهرته ذات خمس أوراق .

آه . أي سهل علوي
تعلوه عشرون شمسا
أية أنهار قويمة
يغزلها وهمها !
غير أنها تمضي بزهورها ،
بينما يلعب الضوء المعلق
في الريح ، على أعلى
مربعات الشعرية .

الزوجة الخائنة

ومضيت بها الى النهر
ظاناً أنها عذراء،
غير أنها كانت ذات زوج .
كان ذاك ليلة سانتياغو
و كأنه فرض محتوم .
انطفأت أضواء الشارع
وعلا غناء الصراصير .
عند المنحنى القصي من الشارع
لمست نهديها الناعمين
فاشرأبا لي فجأة
كأشواك سنبلة .
لتنورتها المنشاة
حفيف بأذني
كقطعة حرير

تمزقها عشر سكاكين .

الأشجار ، دونما ضوء فضي على ذراها ،
أخذت في السمو ،
وأفق كلاب
نابحة بعيداً عن النهر .

خلف العليق ،
والقصب والزعرور ،
تحت ضفيرة شعرها
حفرت حفرة في الرمل الناعم .
نزعت عقدتي
فخلعت ثوبها
نزعت حزامي ومسدسي
وعرت صدرها .
ليس للعنبر ولا للصدف
بشرة بهذا النقاء ،
وليس للمرايا أمام القمر

ألق بهذا البهاء :
فخذاها انزلقا بين يدي
كسمكة مذعورة ،
شطراً متقداً بالنار
وشطراً مليئاً بالثلج
عدوت تلك الليلة
على أجمل الدروب
ممتطياً فرساً من المحار
بلا لجام أو ركاب .
لا أريد ، كرجل ، قول
ما قالته لي .
نور العقل
جعل مني أكثر من رزين .
أخذتها بعيداً عن النهر
ممرغة بالرمل والقبل .
سيوف الزنابق
اقتتلت مع الهواء .

سلكت سلوكي أنا .
سلوك غجري أصيل .
أهديتها حقيبة
كبيرة من قماش بلون القش
ما أردت أن أعشق
لأنها ، رغم أنها ذات زوج ،
قالت : إنها عذراء
وأنا ماض بها الى النهر .

حكاية الأسى الأسود

مناقير الديكة
تنقب باحثة عن الفجر ،
حين تهبط سوليداد مونتويا
من الجبل المظلم .
لجسدها النحاسي الأصفر
رائحة جواد وظل .
نهداها ، السندانان القاتمان
يعولان بأغان دائرة .

ـ سوليداد ، عمن تسألين
وحيدة وفي هذه الساعة ؟

ـ أسأل عمن أسأل ،
قل لي ، ما شأنك به ؟
أجيء لأبحث عما أبحث ،
عن فرحتي وعن نفسي .

ـ يا سوليداد أساي
الجواد المندفع
يلقى البحر في النهاية
وتبتلعه الأمواج .

ـ لاتذكرني بالبحر
لأن الأسى الأسود
ينبع في حقول الزيتون
تحت حفيف الاشجار .

ـ سوليداد ما أشد أساك
ياله من أسى أليم !
أنت تبكين قطرات الليمون
حامضة بالانتظار وبالفم .

ـ ما أشد أساي اني أذرع
بيتي كالمجنونة ،
وضفيرتاي على الارض ،

من المخدع الى المطبخ
ياله من أسى ! بلون القار
صار جسدي وثيابي
أواه ! ياقمصاني الكتانية !
أواه ! يافخذي الأحمرين كالخشخاش
ـ سوليداد ، طهري جسمك
بماء القبرات ،
ودعي قلبك
في سلام ، ياسوليداد مونتويا
عند السفح يغني النهر :
رعشة السماء والأوراق .
من أزهار القرع
يتخذ الضياء الوليد تاجه .
أواه يا أسى الغجر !
أيها الأسى النقي المتفرد أبدا .
يا أسى درب خفي
وصبح بعيد !

سان غبرييل

"اشبيليه"

فتى أهيف جميل ؛
منكبان عريضان ، خصر نحيل ،
بشرة تفاحة ليلية ،
فم حزين وعينان واسعتان ،
أعصاب من فضة نارية ،
يتخطر في الشارع المقفر .
حذاؤه اللماع
يقتحم داليا الهواء
بايقاع ، مزدوج
لنغمات سماوية وجيزة .
لا تجاريه نخلة
على شاطىء البحر ،
ولا امبراطور متوج ،
ولا نجم حائر .

حين يحني رأسه
على صدره الأسمر
يبحث الليل عن السهول
راغباً في الركوع .
القيثارات تعزف وحدها
لسان غابرييل رأس الملائكة ،
مؤنس الفراشات البيض
وكاره الصفر .
ـ سان غابرييل : الطفل يبكي
في بطن أمه .
لا تنس أن الغجر
أهدوك الثياب .

ـ ٢ ـ

أنونثياثيون دي لوس رييس ،
غنية بضوء القمر فقيرة إلى الثياب
تفتح الباب للنجم
الهابط الى الشارع .

سان غابرييل رأس الملائكة

حفيد الخيرالدا العظيمة[1]

بين زنبقة وبسمة

كان قادما في زيارة .

في معطفه المطرز

اختبأت صراصير راعشة .

أنجم الليل

غدت نواقيس .

ـ سان غابرييل ها أنذي

بمسامير الفرح الثلاثة .

بهاؤك ينشر الياسمين

على وجهي الخجول .

ـ كان الله معك يا انونثياثيون

يابنت المعجزة السمراء

---

(١) مئذنة الخيرالدا العربية في اشبيلية

ستحملين طفلاً أجمل
من هبات النسيم .

ـ آه ! يا سان غابرييل عيني
يا غابرييلو حياتي .
أني أحلم بكرسي من القرنفل
كي تجلس عليه .

ـ كان الله معك يا انونشياثيون
يا غنية بضوء القمر وفقيرة إلى الثياب
سيكون لطفلك على صدره
شامة وثلاثة ندوب

ـ آه سان غابرييل البهي !
يا غبرييلو حياتي
في عميق ثديي
الآن يتدفق الحليب الحار .

ـ كان الله معك يا انونشياثيون

يا أم مئات العوائل
عيناك تضيئان بالجدب ،
آفاق قطاع طرق .

الطفل يغني في رحم
انونثياثيون المذعورة .
ثلاث حبات لوز أخضر
تترنح في صوته الصغير .

الآن سان غابرييل في الفضاء
يصعد على سلم .
أنجم الليل
أصبحت خالدة !

ايقاف انتونيو الكامبوريو
على طريق اشبيلية

انتونيو توريس هيريديا ،
ابن آل كامبوريو وحفيدهم ،
بعصا من الصفصاف
يمضي الى اشبيلية ليشهد الثيران
بسمرة القمر الأخضر
يمشي هونا ويتخطر .
خصلات شعره الصقيل
تتألق بين عينيه .
في منتصف الطريق ،
جنى حبات الليمون ،
وظل يلقي بها الى الماء
حتى أحاله الى ذهب .
وفي منتصف الطريق
من تحت أغصان دردارة ،

قاده الحرس الأهلي
مكبلا من مرفقيه .
النهار ينحسر ببطء
والمساء ، معلقاً على كتف [1]
يخطو خطوة طويلة
فوق البحر والجداول .
كروم الزيتون تترقب
ليلة كابريكورنيو .
هبة نسيم قصيرة فارسة ،
تقفز على التلال الرصاصية .
أنتونيو توريس هيريديا ،
ابن آل كامبوريو وحفيدهم ،
يجيء بلا عصا من الصفصاف
بين القبعات الخمس المثلثة الزوايا .

انتونيو ! من أنت ؟

---

(١) صورة من مصارعة الثيران

لو كنت من آل كامبوريو
لتفجرت نبعاً
من دم بخمس عيون
لست ابناً لأحد
ولا سليل كامبوريو
لقد مضى اولئك الغجر
الذين يهيمون وحدهم عبر التلال.
تلك السكاكين العتيقة
ترتجف تحت التراب .

في التاسعة مساء
قيد الى السجن .
بينما جنود الحرس الأهلي
يشربون جميعاً عصير الليمون .
وفي التاسعة مساء
أقفلت زنزانته
حين كانت السماء تلمع
ككفل مهر .

مصرع انتونيو الكامبوريو

أصوات الموت دوت
عند الوادي الكبير ،
الأصوات التليدة الملتفة
حول قرنفلة بشرية .
خرق نعالهم
بعضات خنزير بري
وثب في الصراع
بنعومة دلفين .
ضمخ بدم الاعداء
رباطه القرمزي ،
غير أن هناك أربعة خناجر
وعليه أن يستكين .

حين تغرس النجوم
رماحها في المياه الرمادية ،

حين تحلم الثيران الشابة
بفيرونكا أزهار المنثور [1]
أصوات الموت دوت
عند الوادي الكبير .

ـ انتونيو توريس هيريديا
يا كامبوريو أصيل ،
يا سمرة القمر الاخضر ،
يا صوت قرنفلة بشرية
من أودى بحياتك
عند الوادي الكبير ؟

ـ أبناء عمي الهيريديون الاربعة
أبناء بيينا ميخي .
لم يحسدوا الآخرين
ما حسدوني عليه .
حذاء بلون الزبيب

(١) صورة من مصارعة الثيران ، وهي دوران المصارع حول نفسه ملوحاً بعباءته أمام الثور .

قلائد من العاج
وهذه البشرة المضخمة
بالزيتون والياسمين .

ـ آه أنتونيو الكامبوريو !
يا جديرا بامبراطورة !
اذكر العذراء،
فأنت ماض إلى الموت .

آه ! فيدريكو غارثيا !
ناد الحرس الأهلي
لقد تهشم خصري الآن
كعود الذرة .

تفجر ثلاث دفقات من دم
ومات على جنبه .
لقد عاش طابعاً فريداً
أبداً لن يثنى .
مَلَكٌ مزهو أراح
رأسه على وسادة .

الآخرون ، بخجلهم المرهق ،
أشعلوا قنديلا .
وحين وصل أبناء العم الأربعة
إلى بينا ميخي
صمتت أصوات الموت
عند الوادي الكبير .

حكاية المغضوب

وحدتي القلقة !
عينا جسمي الصغيرتان
وعينا جوادي الواسعتان،
لا تغمض في الليل ،
حيث يبحر هادئاً
حلم ثلاثة عشر مركباً.
بدلا من حرس أمين
صارم يقظ
تنظر عيناي الى نجم القطب
ذي المعادن والصخور
حيث جسدي بلا شرايين
يستقرىء أوراق اللعب الجامدة.
ثيران الماء الضخمة[1]

---

(١) تعبير اندلسي شعبي عن مجرى الماء البطيء والعميق القوي

تّندفع نُحو الفتيةّ
المستحمين في أقار
قرونها المتماوجه .
والمطارق تغني
فوق سندانات الأرق
أرق الفارس
وأرق الجواد .

في الخامس والعشرين من حزيران
قيل لأمارغو :
« تستطيع ، إن تشأ »
قطف الدفلى من ساحة دارك .
ارسم صليبا على بابك
واكتب تحته اسمك
لأن الشوكران والقريص
سينمو في ربعك .
وستعض ابر الزيزفون

تعليك .
يكون ذلك في الليل في الظلمة
على التلال الأخاذه
حيث ثيران الماء
حالمة تشرب الدفقات .
التمس الأضواء والأجراس ،
تعلم تصليب اليدين
واستمتع ببارد رياح
المعادن والصخور .
لأنك بعد شهرين
ملفوف بكفن . »

هز سانتياغو في الهواء
سيفا سديميا .
صمت مهيب
فاض من قبة السماء .

في الخامس والعشرين من حزيران

فتح أمارغو عينيه .
وفي الخامس والعشرين من آب
رقد ليطبقهما .
هرع الناس الى الشارع
ليروا المغضوب ،
وقد ألصقت وحدته
القريرة على الجدار .
وأضفى الغطاء الناصع
ذو الخيوط الرمانية المتينه
اتزانا على الموت
بثنيات سطه الحادة .

حكاية الحرس الأهلي الإسباني

خيولهم سوداء .
حدواتها سوداء .
على معاطفهم تلتمع
بقع الحبر والشمع .
لهم ، ولهذا لا يبكون ،
جماجم من رصاص .
بأرواح من جلد ،
يخترقون الدرب .
حدب ولبليون ،
يفرضون أينما اتجهوا
سكينة مطاط أسود
ومخاوف رمل نام .
يعبرون ، إن شاؤوا العبور ،
ويخفون في رؤوسهم
فلكا غامضاً
لمسدسات خيالية

آه ! يا مدينة الغجر !
الأعلام على المنعطفات .
القمر ، والقرع
مع الكرز المعلب .
آه ! يا مدينة الغجر !
من رآك ولا يذكرك ؟
يا مدينة الأسى والمسك ،
وأبراج القرفة .

حين خيمت تلك الليلة ،
ليلة الليالي الليلاء ،
كان الغجر في أكوارهم
يصوغون شموسا واسهما .
جواد بجرح مميت
طرق كل الأبواب .
ديكة بلورية غنت
لخيرث دى لا فرونتيرا
الريح

أصبحت عارية

في تلك الليلة ؛ الليلة الفضية .

ليلة الليالي الليلاء ،

• • •

العذراء والقديس يوسف

أضاعا صناجاتهما

وبحثا عن الغجر

لعلهم يجدونها .

العذراء تقبل مرتدية

ثوب زوجة محافظ

من ورق الشوكولاته ،

وقلائد من اللوز .

والقديس يوسف يهز ذراعية

تحت قفطانه الحريري ،

ومن خلفه يسعى بدور دوميك

مع ثلاثة سلاطين من فارس .

كان الهلال يحلم

بذهول لقلق .

أعلام وفوانيس
غزت الأسطحة .
أمام المريا تعول
راقصات بلا أرداف .
ماء وذل ؛ ظل وماء
على خيرث دي لا فرونتيرا .

آه يا مدينة الغجر !
الأعلام على المنعطفات .
أطفىء أضواءك الخضراء
فالحرس الأهلي قادمون .
آه ! يا مدينة الغجر !
من رآك ولا يذكرك ؟
دعوها بعيدة عن البحر
بلا مشط تسرح به شعرها .

يتقدمون اثنين اثنين

نحو مدينة الأعياد .
تمتمة الخالدين
تجتاح الجنادات .
يتقدمون اثنين اثنين
زوج ثياب ليلية .
لقد تخيلوا السماء
واجهة لعرض المهاميز .
المدينة وقد تحررت الخوف
عددت أبوابها .
أربعون من الحرس الأهلي
دخلوها لينهبوا .
الساعات توقفت ،
والكونياك في الزجاجات
تنكر كتشرين الثاني
كيلا يثير الشبهة .
سرب صرخات حادة

على مع الأعاصير .
السيوف قطعت الأنسام
المتعثرة بالأظلاف
الشوارع المعتمه
فرت العجائز الغجريات
بالجياد النائمة
وجرار النقود .
عبر الشارع المنحدر
مضت المعاطف الآثمة ،
مخلفة وراءها
دوامة قصيرة من المقصات .
على بوابة لحم
أحتشد الغجر .
القديس يوسف ، مغطى بالجراح
يلف صبية بكفن
بنادق شديدة العناد
تقطع السكينة طوال الليل

العذراء تبرئ الاطفال
برضاب النجوم .
لكن الحرس الأهلي
يتقدمون يبذرون النيران
حيث يحترق الخيال
نضيرا عاريا .
روزادى لوس كامبوريوس
تنتحب على عتبة بابها
ونهداها الاثنان مقطوعان
يرقدان في طبق .
بينما النسوة الأخريات يركضن
وخلفهن ضفائرهن ،
في جو تتفجر فيه
ورود بارود أسود .
حين أصبحت كل الأسقف
أكواما على الارض ،

هز الفجر كتفيه
على ظل صخرة طويل

آه ! يا مدينة الفجر !
الحرس الاهلي يضون
في نفق من الصمت
بينا تطوقك الحرائق .

آه ! يا مدينة الفجر !
من رآك ولا يذكرك ؟
على جبهتي ستبقين .
يا ملعب القمر و الرمل .

تمار وأمنون

القمر يدوّم في السماء
فوق القفار القاحلة
بينا ينثر الصيف
تمتمات نمر ولهب.
وعلى الأسقف
ترن أعصاب من معدن .
هبت ريح مجدولة
مع ثغاءات حمل.
الارض تبرز مغطاة
بجراح ملتئمة،
أو ترتعش تحت لذعات
أضواء بيضاء محرقة .

• • •

كانت تمار تحلم
بعصافير في حنجرتها ،
على صوت طبول باردة
وقيثارات يغمرها القمر .
جسمها العاري على الأفاريز ،
سبابة راحة رقيقة ،
تنشد ثلجاً على بطنها
وبرداً على كتفيها
كانت تمار تغني
عارية على الشرفة ،
وحول قدميها
خمس حمائم جامدة .
أمنون ، الأهيف الصلب ،
رآها من على البرج ،
فأخذ حقواه يزبدان
وذقنه ترتجف .

غريها المشع
يملأ الشرفة ،
وبين أسنانها أزيز
سهم طائر .
كان أمنون يحدق
بالقمر المدور على الافق ،
وفي القمر رأى ثديي
اخته الناهدين

• • •

في الثالثة والنصف
استلقى أمنون على سريره
لقد عانى كل ما في الغرفة .
رفيف أجفانه
الضوء الصلد يدفن
قرى في الرمال السمراء
أو يكتشف مرجانة

صغيرة من الورود والداليا .

ماء البئر المتعب

ينساب صامتاً في الجرار .

وفي طحلب جذوع الاشجار

تغني أفعى منسلة .

أمنون يئن تحت أغطية

سريره البارد

لبلاب قشعريرة

يزحف فوق جسده المحترق .

دخلت تمار بصمت

الى الغرفة الصامتة ،

بلون الوريد والدانوب ،

تعبة من الآثار النائية .

- تمار ، امسحي العيون

بفجرك الخالد

خيوط دمي تطرز

وشياً على حضنك
ـ خلني بسلام ؛ يا أخي
قبلاتك على كتفي
دبابير وهبات ريح
جمعين من النايات.

ـ تمار ، على نهديك العالبين
سمكتان تدعوانني
وفي أنامل يديك
تمتمات زر ورد .

• • •

جياد الملك المئه
صهلت في الباحة.
الشمس المنهمرة تجاهد
رقة الكرمة .
الآن أُمسك الشعر
الآن مُزِق القميص .

مرجانات فائرة ترسم
جداول على خارطة شقراء.

• • •

يا لها من صرخات علت
فوق أسطحة الدور
يا لها من خناجر حادة
وقصان ممزقة.
على الادراج الحزينة
يصعد العبيد ويهبطون.
العصي والافخاذ
تلهو تحت الغيوم الساكنة.
عذارى غجريات يندبن
حول تمار
وأُخريات يجمعن قطرات
زهرتها الشهيدة.
وفي الغرفة المقفلة

تخضبت الأغطيه البيضاء.
تمتمات فجر واهن
تحول الأسماك وعرائش الكرمة.

• • •

أمنون يهرب على فرسه
غاضباً حانقاً.
والعبيد يطلقون سهامهم
من الحصون والابراج.
وحين أصبحت النغمات الاربع
أصداء أربعة
قطع داود أوتار قيثاره
بحدي مقص.

شاعر في نيويورك

١٩٢٩ — ١٩٣٠

ملك هارلم

بملعقة
كان يسمل عيون التماسيح
ويضرب أعجاز القرود.
بملعقة.

نار خالدة ترقد في أحجار الصوان
والصراصير المخمورة بالعرق
نسيت طحالب القرى.

كان ذلك الشيخ المغطى بالفطور
ماضيا إلى حيث يبكي الزنوج
حين طقطقت ملعقة الملك
وجاءت الصهاريج بالماء الآسن.

فرّت الورود على أطراف

منحنيات الهواء ،
وفي أكوام الزعفران
هرس الاطفال السناجيب الصغيرة
بحمرة حقد ملطخ .

يجب أن تُعبر الجسور
ويُبلغ الخجل الزنجي
كيما يحس بعطر الرئة
يقرع صدوغنا بحلة
من الصنوبر الحار .
يجب أن يقتل بائع الخمور الاشقر
وجميع أصدقاء التفاح والرمل ،
وتسحق بالقبضات حبات الفاصولياء
التي ترتجف مليئة بالحبب ،
ليغني ملك هارلم مع عشيرته ،
لتنام التماسيح في صفوف طويلة
تحت (امينت) القمر ،

ولئلا يساور أحداً الشك في خالد جمال
المذبات والحلل والقدور وطناجر المطابخ .

وا هارلم ! وا هارلم ! وا هارلم !
لا هلع يساوي حمرك المضطهدين ،
وارتعاش دمك عند ظلمة الكسوف ،
وعنفك العقيقي الاصم الابكم في العتمة ،
وملكك العظيم الحبيس في زي خادم .

• • •

انشق الليل عن حرباءات هادئة من العاج .
الصبايا الامريكيات
حملن في بطونهن النقود والأطفال ،
وأغمي على الشباب فوق صليب التثاؤب .

إنهم
إنهم الذين يجرعون الويسكي الفضي عند البراكين ،
ويزدردون حبات القلب فوق جبال الدب الجليدية .

في تلك الليلة سمل ملك هارلم بملعقة قاسية

عيون التماسيح
وضرب أعجاز القرود
بملعقة .

الزنوج بكوا حائرين
تحت مظلات وشموس من ذهب ،
والمولدون نشروا الصمغ متلهفين الى بلوغ الجذوع البيضاء .
والريح غبشت المرايا ،
وهرست أوردة الراقصين .

زنوج ، زنوج ، زنوج ، زنوج .

ليس للدم منفذ في ليل وجوهكم المرتفعة
ولا نضرة . الدم الفائر تحت الجلد ،
المقيم على ذؤابة الخنجر وصدر الآفاق
تحت الملاقط ومكانس قمر السرطان السماوي .

الدم الذي يبحث في ألف درب عن الميتات المجللة بالورد ورماد

العنبر ،
في سماوات زلقة صلبة ، حيث تتدحرج عناقيد النجوم
على الشطآن مع المطامح المهملة.
الدم الذي ينظر شزرا بطرف العين ،
المركب من عصير الحلفاء ورحيق الاقبية .
الدم الذي يؤكسد الريح التجارية المستهترة بأثر قدم
ويذيب الفراشات على زجاج النوافذ .

إنه الدم الذي يجيء ، وسيجيء
من الاسطحة والشرفات ، ومن كل الجهات ،
ليحرق بخضور النساء الشقراوات ،
ليئن على قوائم الأسرّة مواجها أرق المغاسل ؛
ويندفع نحو فجر من تبغ وصفرة بليدة.
على الانسان أن يهرب ،
يهرب إلى الزوايا ويحبس نفسه في أعلى الغرف
لأن عنفوان الغابة ينسل من الشقوق
مخلفاً في أجسادكم أثر كسوف رقيقاً

وحزنا زائفا لقفاز بهت لونه ووردة كيميائية .

• • •

إنه في أعقل صمت حين الخدم والطباخون وأولئك الذين
يلعقون بألسنتهم
جراح أصحاب الملايين
يبحثون عن الملك في الأزقة أو في زوايا نترات الصوديوم
ريح جنوبية من الغابة تغوص في الوحل الأسود ،
تبصق على المراكب المحطمة وتثقب أكتافها بالمسامير .
ريح جنوبية تحمل
العاج وعباد الشمس والأبجديات
ومدخرة رصاصية فيها دبابير مخنوقة.
النسيان يعبر عن نفسه بثلاث نقط حبر فوق (المونوكل)
والحب بوجه وحيد خفي على أرض صخرة .
اللبلاب والنوارشكّلا على الغيوم
صحراء جذوع ليس فيها وردة .

• • •

إلى اليمين ،وإلى اليسار،في الجنوب ، وفي الشمال
يقف جدار يستحيل
على الخلد وعلى إبرة الماء .
لا تبحثوا فيه ؛ أيها الزنوج ، عن ثلمة
لتعثروا على القناع الخالد .
ابحثوا عن شمس المركز العظيمة
وقد استحلتم الى مخروط طنان .
الشمس التي تنساب بين الأدغال
على يقين من أنها لن تصادف حورية ،
الشمس التي تحطم الارقام والتي ما شعت في حلم ،
الشمس الموشومة التي تفيض على النهر
وتزأر يتبعها تماسيح على دربها .

زنوج ؛ زنوج ؛ زنوج ، زنوج .
لا الافعى ولا حمار الوحش ولا البغل
شحبوا يوماً أمام الموت .

إن الحطاب لا يدري متى تسلم
الأشجار الصريعة أرواحها .
البثوا في ظل ملككم السندسي
إلى أن يقلق الشوكران والعوسج والقريص الشوارع الآمنة
عندئذ ، أيها الزنوج ، عندئذ ، عندئذ ؛
لكم أن تلثموا بحقد عجلات الدراجات
وتضعوا المجاهر في أوكار السناجيب
وترقصوا أخيراً ، بلاشك ، حين تغتال أزهار الشوك
موسانا [1] عند قصب السماء .
وا هارلم المهرج ،
وا هارلم المهدد بحشد بذلات بلا رؤوس .
إليّ تصل تأوهاتك
إليّ تصل تأوهاتك مجتازة جذوع الأشجار ، وفي المصاعد ،
وعبر لوحات رمادية
حيث تطفو سياراتك المغطاة بالأسنان ،

---

(١) موسى النبي .

وفي الجياد الميتة والجرائم البسيطة
وفي ملكك العظيم البائس
ذي اللحية التي تلامس البحر .

الفجر

لفجر نيويورك
أربعة أعمدة من طين
وزوبعة حمائم سوداء تتمرغ في مياه آسنة .

فجر نيويورك يئن
عند السلالم العريضة
باحثا بين الرفوف
عن ناردين الفزع المرسوم .

يطلع الفجر ولا من يتقبله بفمه
فليس هناك من صباح ولا أمل منتظر .
أحيانا ، النقود كدبابير هائجة
تبحث عن الأطفال المشردين وتلتهمهم .

يعون ، لحظة يولدون ، في عظامهم

أنه لا جنة ولا حب طبيعي ،
يعرفون أنهم ماضون إلى وحل الارقام والقوانين ،
إلى ألعاب بلا فن ، إلى كد بلا ثمر .

النور يدفن في السلاسل والضجيج
في تحد وقح لعلم بلا جذور .
الجموع الأرقة في الضواحي تترنح
و كأنها خرجت حديثاً من طوفان الدم .

قصيدة ثانية لبحيرة عدن

كان صوتي العتيق
جاهلا بالرحيق الكثيف المر .
احدس به لاعقا قدمي
تحت السرخس الريان الهش .

أو اه ياصوت حبي العتيق !
أو اه ياصوت حقيقتي !
أو اه ياصوت جنبي المفتوح
حين كل الورود انثالت من لساني
والعشب مادرى بأسنان الجواد القاسية .

أنت هنا تشرب دمي
تشرب طبع طفولتي التعب ؟
وعيناي تخمدان في العاصفه

أمام الألمنيوم وأصوات السكارى .

دعني اجتز الباب
حيث تأكل حواء النمل
ويربي آدم اسماكا مبهورة
دعني اعبر ، أيها القزم الأقرن ،
غابة التمطي والتثاؤب
والوثبات البهيجة .

إني أعرف سر أسرار
الدبوس العتيق الصدئ .
وأعرف رعب العيون المحملقة في سطح الصحن المهوس .

غير أني لا أريد عالماً أو حلما ، أيها الصوت الالهي ،
أريد حريتي ، حبي البشري
في أظلم زوايا النسيم الذي لا يريده أحد .
حبي البشري !

كلاب البحر هذه تتبع بعضها
والريح تكمن لجذوع الاشجار الغافله
أيها الصوت العتيق ، احرق بلسانك
صوت القصدير والتلك هذا !

أريد أن أبكي فالبكاء رغبتي
كما يبكي الأطفال فوق المقعد الأخير
لأني لست رجلاً ، ولا شاعراً ، ولا ورقة شجر
أنا نبض جريح يتلمس ما على الجانب الآخر .

أريد أن أبكي صائحاً باسمي ،
بوردة ، بطفل وبشجرة شربين على شاطيء هذه البحيرة
أن أنطق بحقيقة رجولتي الفائرة
التي تطفيء في هزء الكلمة ومدلولها

لا ، لا ، أنا لا أسأل ، أنا أرغب
ياصوتي الطليق في أن تلعق يدي .
إن عريي في متاهة الحواجز يواجه

مرآة العقاب والساعة الرمادية الكبيرة
هكذا كنت أتكلم
هكذا كنت اتكلم حين اوقف زحل الأرتال
وكانت الحيرة والحلم والموت جميعاً يبحثون عني
كانوا يبحثون عني
هناك حيث الأبقار الحائرة ذات الأقدام الشبيهة بالصحف
وحيث طفا جسدي في اتزان.

السماء المحيّة

أنا لن أشكو
إن لم أجد ما أبحث عنه .
عند الصخور الصلدة والحشرات الدنيا
لن أرى صراع الشمس مع المخلوقات الغضة .

بل سأمضي إلى أول مشهد
للصدام ، للسوائل والتمتمات
التي تحوط طفلا حديث الولادة
وحيث كل سطح منبوذ ،
من أجل أن أفهم أن ما أبحث عنه ماض إلى صميم فرحه
حين أحلق ممرغاً بالحب والرمل .

إلى هناك لا يصل جليد العيون المظلمة

ولا أنين الشجرة التي اغتالتها شرنقة .
هناك تتشبث كل الاشكال
بتعبير فريد هاذ بالتقدم .

لن تستطيع المضي في حقول النوار
فالهواء يذيب اسنانك السكرية ،
ولن تستطيع مداعبة أوراق السرخس الرشيقة
من غير أن تحس بدهشة العاج المتناهية .

هنالك تحت الجذور وفي لب الهواء
ندرك الخطأ من الصواب ؛
السباح الفضي المتمدد إنتظاراً لأروع موجه ،
وقطيع الأبقار الليلية ذات الاقدام الانثوية الحمراء .

أنا لن أشكو
إن لم أجد ما أبحث عنه .
بل سأمضي الى أول مشهد للنداوة وخفقات القلب
من أجل أن أفهم أن ما أبحث عنه ماض إلى صميم فرحه

حين أحلق ممرغاً بالحب والرمل .

احلق بنضارتي الابدية فوق المسارب الراسية .

أكبو شاكاً في الابدية القاسية الراسخة ،

وحب في النهاية بلا صبح .

حب ... حب صريح

قصيدة إلى وولت ويتمان

على مجرى النهر الشرقي والبرونكس
كان الشباب يغنون عارين حتى الخصور ،
بالعجلة ، والزيت ، والجلد ، والمطرقة ،
تسعون الف معدن استخرجوا الفضة من الصخور
ولا يزال الاطفال يرسمون سلالم وأبعادا

لكن لم يرغب أحد في النوم ،
لم يرغب أحد في أن يكون النهر ،
لم يحب أحد أوراق الشجر الكبيرة
لم يحب أحد لسان الشاطىء الازرق

على مجرى النهر الشرقي والكوينزبورو
كان الشباب يصارعون الصناعة ،

واليهود يبيعون نمل النهر
وردة الختان
وصبت السماء فوق الجسور والاسطحة
أسراب بقر وحشي ساقتها الريح .

لكن لم يرغب أحد في التوقف ،
لم يرغب أحد في أن يكون غيمة ،
لم يبحث أحد عن السرخس ،
ولا عن إطار الدف الاصفر.

حينما يطلع القمر
تدور البكرات حتى تتصدع السماء
سياج من الابر يطوق الذاكرة
وتمضي النعوش بالذين لا يعملون .

يا نيويورك العار ،
يا نيويورك الاسلاك والموت ،
أي ملاك توارين في وجنتك ،

أي صوت حق سيحكي حقائق القمح ؟
من الحلم المروع لشقائقك الملطخة ؟

ما عجزت لحظة ، أيها الشيخ الجليل وولت ويتمان ،
عن رؤية لحيتك الحافلة بالفراشات ،
أو كتفيك الازغبين مرهقين بالقمر ،
أو ساقيك ساقي أبولو الطاهر ،
أو صوتك الشبيه بعمود من الرماد ،
لقد أننت كعصفور
تليداً جميلاً كالضباب ،
وقد سمر الجنس بابرة ،
يا عدو آلهة الشبق
يا عدو الدوالي
وعاشق الاجساد تحت الثياب الخشنة .
ولا لحظة واحدة أيها الجمال الرجولي
في جبال الفحم والاعلانات وسكك الحديد ،

كنت تحلم في أن تكون نهراً ، وأن تنام كالنهر
مع ذلك الصديق الذي يودع صدرك
حسرة فهد غبي صغيرة .
ولا لحظة واحدة يا آدم الدم ، الذكر ،
أيها الرجل الوحيد في البحر ، الشيخ الجميل
وولت ويتمان ،
لان المخنثين في الشوارع ،
محتشدين في الحانات ،
مندفعين زرافات من تحت الجسور
مرتجفين بين أرجل السائقين ،
أو دائرين على أرصفة الابسنت ،
المخنثين ، يا وولت ويتمان ، يحلمون بك

وهذا أيضاً ! أيضاً ! ويرتمي
على لحيتك الأنقة الطاهرة ،
شقر الشمال ، زنوج الرمال ،

جموعاً صائحة هائجة ،
كأنها القطط أو الافاعي ،
المخنثون ، يا وولت ويتمان ، المخنثون ،
وهم يغصون بالدمع ، لحم لسوط
المروضين ونعالهم أو عضاتهم .

وهذا أيضاً ! أيضاً ! الاصابع الملطخة
تشير الى حاشية حلمك
ذات الطعم المشوب بالبترول
بينا الصديق يأكل تفاحتك
والشمس تغني حول سور
الفتيان اللاهين تحت الجسور .

ولكنك لم تبحث عن العيون المخدشة ،
ولا عن مستنقع القار الأسود حيث يغمر الأطفال ،
ولا عن اللعاب القارس ،
ولا عن الجراح المتلوية كبطن ضفدع
التي يحملها المخنثون في العربات والشرفات .
بينا يجلدهم القمر في اركان الرعب .

بحثت عن عري يبرز كنهر ،
وثور ، وحلم يقرن العجلة بالطحلب
والد جثىرجتك وكاميليا موتك
باكياً في لهيب خطك الاستوائي الخفى .

لأن الانسان لايبحث عن بهجته
في غابة دم الصباح الطالع .
في السماء شواطيء يعرض فيها عن الحياة
ومن الأجساد ما لايجوز أن يعاد عند الفجر

غم ، غم ، حلم ، هياج ، وحلم .
هذا هو العالم ، يا صديقي ، غم غم .
الموتى يتفسحون تحت ساعات المدن
والحرب تمر باكية بألف فأر رمادى ،
والأغنياء يهدون خليلاتهم
صغاراً محتضرين متلألئين
والحياة ليست نبيلة ، ولا خيرة ، ولا مقدسة .

للرجل ، ان اراد ، ان يقود رغبته
في وريد عري مرجاني او سماوي .
غدا تصبح المرؤات صخراً والزمن
نسمة تهب نائمة على الغصون .
لهذا لم ازجر ، ايها الشيخ وولت ويتمان ،
الصبي الذى خط
اسم صبية على مخدته ،
ولا الشاب الذي يرتدي ثياب عروس
في ظلمة الخزانة
ولا المنطوين على انفسهم في الملاهي
الذين يجرعون بقرف ماء البغاء
ولا الرجال ذوي النظرة الخضراء
الذين يعشقون الرجل ويحرقون شفاههم في الصمت
بل سخطت عليكم ، نعم ؛ يا مخنثي المدن
ذوى اللحم الورم والعقل القذر ،
مجارى الوحل ، الجشعين ، ايها الأعداء الساهرون

للحب الذي يهب أكاليل البهجة .

سخطت عليكم دائما ، يامن تعطون الشباب
قطرات الموت الكدر في سم مر ؛
فارس من اميركا الشمالية
باجاروس من هافانا
جوتوس من المكسيك
سارازاس من قادس
آبيوس من اشبيلية
كانكوس من مدريد
فلورا ں من اليكانت
آرلايداس من البرتغال
يا مخنثي كامل العالم ، قتلة الحمائم !
عبيد النساء ، كلاب مخادعهن ،
المنتشرين في الساحات بحمى مروحة
او الكامنين في حقول الشوكران المقرورة

فلتزل جميع الجنائن ! الموت
يفيض من اعينكم
ويكدس زهوراً رمادية على شاطىء الوحل .
فلتزل جميع الثكنات ! احذروا
وليغلق الحائرون ، والأطهار ؛
والمتزمتون والأجلاء والمتضرعون
في وجوهكم ابواب الفجور .

وانت ياوولت ويتمان الجميل ، نم على ضفاف الهدسون
ولحيتك متجهة نحو القطب ، ويداك مبسوطتان .
صوتك ، كخزف حلو او ثلج ، لايزال يدعو
الاصدقاء ليرقبوا غزالك بلا جسد .

نم ، لاشيء باق .
رقصة جدران تهز المروج
وامريكا تغرق نفسها بالآلات والدموع .

أريد ريح أعمق ليل قوية
لتزيل الازهار والكلمات عن ضريحك حيث تنام
وصبيا زنجيا يعلن للبيض الذين من ذهب
قدوم ملكة السنابل.

قصيدة صغيرة لانهائية

في اخطاء الدرب
وصول الى الثلج ،
والوصول الى الثلج
هو أن ترعى عشرين قرنا عشب المقابر .

في اخطاء الدرب
وصول الى المرأة ،
المرأة التي لا ترهب الضوء ،
المرأة التي تقتل فرخي دجاج بلحظة ،
الضوء الذي لا يرهب الفراخ ،
والفراخ التي لاتستطيع الصياح فوق الثلج .

ولكن اذا اخطأ الثلج القلب
فقد تهب الريح الجنوبية ،
وما دام الهواء لا يعبأ بالآهات

فعلينا ان نعود لنرعى عشب المقابر

رأيت سنبلتين من شمع محزونتين
تدفنان منظر البراكين
ورأيت طفلين مجنونين يلهوان باكيين بحدقتي قاتل .

غير ان (اثنين) لم تكن أبدا عددا
لأنها غم وظله
لانها الغيتار حيث ييئس الحب
لأنها البرهان على نهاية اخرى ليست لها
ولأنها اسوار الموتى
وعقاب البعث الجديد الأبدي
الموتى يكرهون عدد الاثنين
ولكن عدد الاثنين يدعو النساء للنوم
ومادامت المرأة ترهب الضوء
والضوء يرتعش امام الفراخ
والفراخ وحدها تعرف ان تطير فوق الثلج
فعلينا الى الأبد ان نرعى عشب المقابر .

مرثية أغناثيوسانشيث ميخياس

١٩٢٥

١ - الجندلة والموت

في الخامسة عند الأُصيل .
كانت تمام الخامسة عند الاصيل .
جاء صبي بالغطاء الأَبيض .
في الخامسة عند الاصيل .
اعدت ضمة زيزفون ،
في الخامسة عند الاصيل .
لا شي غير الموت والموت وحده
في الخامسة عند الاصيل .
عصفت الريح بالقطن
في الخامسة عند الاصيل .
وذر الصدأ البلور والقصدير
في الخامسة عند الاصيل .
الآن تتصارع الحمامة مع الفهد
في الخامسة عند الأُصيل .

وفخذ مع قرن فريد
في الخامسة عند الاصيل .
علت أصوات جهيرة
في الخامسة عند الاصيل .
أجراس الزرنيخ والدخان
في الخامسة عند الاصيل .
جموع الصمت في كل حنية
في الخامسة عند الاصيل .
والثور وحده جذلان القلب !
في الخامسة عند الاصيل .
حين بدا ذوب الثلج
في الخامسة عند الاصيل ،
حين جللت الحلبة باليود
في الخامسة عند الاصيل .
وضع الموت بيوضه في الجرح
في الخامسة عند الاصيل .

في الخامسة عند الاصيل .
في تمام الخامسة عند الاصيل .
سريرة تابوت ذو عجلات
في الخامسة عند الاصيل .
عظام ونايات ترن في اذنيه
في الخامسة عند الاصيل .
الآن يخور الثور على جبهته
في الخامسة عند الاصيل .
الغرفة مصبوغة بالغم
في الخامسة عند الاصيل .
الغنغرينا الآن قادمة من بعيد
في الخامسة عند الاصيل .
بوق من الزنبق على وركيه الأخضرين
في الخامسة عند الاصيل .
كانت الجروح تحترق كالشموس
في الخامسة عند الاصيل .

الجموع حطمت النوافذ
في الخامسة عند الاصيل
في الخامسة عند الاصيل
اواه ! ما اقسى هذه الخامسة عند الاصيل !
كانت الخامسة في كل الساعات !
كانت الخامسة في ظل الاصيل !

٢ ـ الدم المنثال

لا أريد أن أراه !

قل للقمر أن يأتي ،
لأني لا اريد ان ارى دم
اغناثيو فوق الرمل .

لا أريد أن أراه !

القمر بادر الضوء .
جواد الغيوم الساكنة ،

وحلبة الحلم الرمادية
المسيجة بالصفصاف .

لا أريد أن أراه !

فذاكرتي تحترق
نبهوا عرائش الياسمين
وزهيراتها البيض !

لا أريد أن أراه !
بقرة العالم القديم
مررت لسانها الحزين
فوق مخمط خضبه الدم
المنثال على الرمل ،
وثيران غيساندو ،
بعضها موت وبعضها صخر ،
تخور مثل قرنين من السنين
منهكين من وطء الأرض .
لا .

لا أريد أن أراه !

اغنا ثيو يرتقي الأدراج
وعلى كتفيه ثقل الموت .
كان يسعى وراء الفجر ،
غير أن الفجر لم يكن .
يسعى وراء خياله الواثق
فيضله الحلم .
كان يسعى وراء جسمه الجميل
فلاقي دمه المراق .
لا تسألوني أن أراه !
لا أريد أن أسمع التفجر
ينتهي إلى وهن ،
هذا التفجر الذي يضيء
مدرح الحلبة وينقلب
فوق زغب القطن وجلد
الجموع اللاهفة .

من يناديني لأتقدم !

لاتسألوني أن أراه !

لم تغمض عيناه

حين رأى القرنين يدنوان ،

غير أن الأمهات المخيفات

رفعن رؤوسهن .

وعبر الزرائب

هبت ريح أصوات

رعيان الضباب الشاحب الغامضة

تصيح بثيران سماوية.

لم تعرف اشبيلية أميراً مثله

ولا سيفا كسيفه

ولا قلباً بصفائه .

كنهر من الأسود

قوته المدهشة ،

وكتمثال من المرمر

عقله الرزين .
كان هواء روما اندلسية
يوشي رأسه بالذهب
حيث كانت بسمته عنبر
الفطنة والذكاء
ما اعظمه مصارعاً في الحلبة !
ما اطيبه فلاحاً على الجبل !
ما ارقه مع السنابل !
ما أشده على المهاميز !
ما أكثر حنوه على الندى !
ما اروعه في المهرجان !
ما ابرعه بآخر
باندريلات العتمة !
غير انه الآن نائم الى الأبد
الأعشاب والطحالب
تفض بأصابع ثابتة

زهرة جمجمته .

الآن دمه يسيل شاديا :

شاديا في الغياض والمروج ،

زالقاً على قرون خدرة ،

مترنحا بلا روح في الضباب ،

متعثراً بألف زفرة

كلسان طويل قاتم

مشكلا بحرة من الغم

عند الوادي الكبير المرصع بالنجوم .

يا جدار اسبانيا الابيض !

يا ثور الأسى الأسود !

يا دم اغناثيو الجاف !

يا عندليب شراينه !

لا .

لا أريد أن أراه

لا قدح ليمتلىء به
لا سنونو ليشربه ،
لا جليد ضوء ليبرده ،
لا اغنية ولا غمر زنابق
لابلور يطليه بالفضة
لا

لن أراه ! !

٣ ـ الجسد المسجى

الصخر جبهة تئن عليها الأحلام
بلا مسارب متلوية ولا سرور مقرور .
الصخر كتف تحمل الزمن
بأشجار دموع واشرطة و كواكب

رأيت امطاراً رمادية تهطل فوق الأمواج ،
رافعة اذرعتها المنهمرة الحنونة
كيلا يحبسها الصخر المنبسط

الذي يحل الأطراف من غير أن ينهل الدم .

فالصخر يجني البذور والغيوم ،
وجماجم القبرات وذئاب الشفق ،
ولكنه لا يهب صوتا ولا بلوراً ولا ناراً ،
الا حلبات وحلبات اخرى بلا اسوار .

الآن يرقد اغناثيو الأصيل على الصخر
الآن انتهى كل شيء ، ماذا يدور ؟ تأمل وجهه
لقد غطاه الموت بكبريت شاحب

وثبت فوقه مينوتور أسود .
الآن انتهى كل شيء .. المطر يسري في فمه .
الهواء ينحسر كالمجنون عن صدره الغريق ،
والحب ، وقد تبلل بدموع الثلج ،
يلتمس الدفء فوق القطعان .

ماذا يقال ؟ صمت نتن يستقر .
نحن امام جسد مسجى ماض إلى الفناء ،

ذي صورة صافية كالعنادل
ونحن نراه يملأ بثقوب ليس لها قرار .

من يلف الكفن ؟ ليس حقاً ما يقول !
ليس لاحد ان يغني أو يبكي في الركن ،
او ينخس المهاميز او يفزع الأفعى .
لا اريد هنا غير عيني المدورتين
لأرى هذا الجسد بلا راحة مأمولة .

اريد هنا ان ارى الرجال ذوي الاصوات الجهيرة؛
اولئك الذين يروضون الجياد ويقهرون الأنهار :
الرجال الذين تجلجل هيا كلهم ويغنون
بفم مفعم بالشمس والصوان .

اريد أن اراهم امام الصخر .
أمام هذا الجسد المقطع الأعنة .
اريدهم ان يروني اين يقلع
هذا الربان المغلول بالموت .

أريد ان يدلوني على مرثية كنهر
ذي ضباب عذب وضفاف عميقة
تمضي بجسد اغناثيو وتغيبه
من غير أن تسمع خوار الثيران .

تغيبه في حلبة القمر المستديرة
التي تواري في الصبا ثورا هادئاً حزينا ،
تغيبه في ليلة لاتغني فيها الاسماك
وفي غابة الدخان المقرور البيضاء .

لا اريد لوجهه ان يغطى بالمناديل
من اجل ان يعتاد الموت الذي يحمل .
امض ، اغناثيو . انس الخوار اللاهب .
نم ، حلق . انعم بالراحة : حتى البحر يموت .

٤ ــ الروح الغائبة

لا الثور يعرفك ولا شجرة التين
ولا الجياد ولا نمل دارك ،

لا الطفل يعرفك ولا الأصيل
لانك مت الى الابد .

لاظهر الصخر يعرفك
ولا الطيلسان الاسود الذي بهتفنى
ولا ذكراك الصامتة تعرفك
لانك مت الى الابد .

سيأتي الخريف بأبواق المحار
وعنب الضباب وضفائر التلال
ولكن لن يرغب أحد في رؤية عينيك
لانك مت إلى الابد.

لانك مت الى الابد
كجميع موتى الأرض
كجميع الموتى المنسيين
في غمرة كلاب وضيعة .

لا أحد يعرفك . لا . ولكني اغني لك
أغني لما ابقته صورتك الجانبية وظرفك .
نضج ادراكك ونبله .
هيامك بالموت وتذوق فمه .
والحزن الفطري في مرحك البطولي .

سيمر زمن طويل ليولد ، ان ولد ،
اندلسي بهذا النقاء ، وهذا الغنى في المغامرة .
اغني لرشاقته بكلمات تئن
واتذكر نسمة حزينة فوق اشجار الزيتون .

ديوان الغاريت

١٩٣٦

الوجود المفزع

أود أن يضيّع الماء مجراه .
أود أن تضيّع الريح الوديان

أود أن يضيّع الليل العيون
وقلبي زهرته الذهبية .

أود أن تسام الثيران الاوراق الكبيرة
وأن يموت القيظ في الظل .

أود أن تلمع أسنان الجمجمة
وأن تفيض الصفرة على الحرير

اني لارى الليل الجريح
في صراع مع الظهيرة .

أُجابه غروب سم أخضر ،

والاقواس المحطمة حيث يقاسي الزمن .

لكن لا تؤلقي عريك النقي
كصبار أسود ينمو بين القصب

دعيني في خوف من كواكب غامضة ،
ولا تريني خصرك اللدن .

الموت الأسود

أود أن أنام نوم التفاح ،
أن أهجر صخب المقابر .
أود أن أنام نوم ذلك الطفل
الذي أراد أن ينتزع قلبه فوق البحر الخضم .

لا أريد تردادأن الموتى لا يفقدون الدم ،
فالفم الفاني يظل يطلب الماء .
لا أريد أن أعرف أي عذاب يهبه العشب
ولا القمر بفم أفعى
يعمل قبل الفجر .

أود أن أنام لحظة ،
لحظة ، دقيقة ، قرنا ،

على أن يعرف الجميع أني لم أمت
وأن على شفتي حظيرة ذهب ،
وأني الرفيق الصغير للريح الغربية ،
وأني الظل المديد لدموعي .

لفني بوشاح عند الفجر
لأنه سينثر علي حفنة من النمل ،
وبلّل نعلي بماء صلد
لتنزلق عليه قارصتا عقربه.

لأني أود أن أنام نوم التفاح
لأتعلم بكاء يطهرني من الأرض
لأني أود أن أعيش مع ذلك الطفل الكئيب
الذي أراد أن ينزع قلبه فوق البحر الخضم .

الهروب

ما أكثر ما أضعت نفسي في البحر
وأذناي مفعمتان بأزهار نضيرة ،
ولساني مغمور بالحب والغم .
ما أكثر ما أضعت نفسي في البحر ،
كما أضعتها في قلوب بعض الاطفال .

لأحد ، وهو يهب قلبه ،
لا يحس بابتسامة ناس بلا وجوه .
ولا أحد ، وهو يلمس طفلا وليدا ،
ينسى جماجم الجياد الجامدة .

لان الورود تبحث في الجباه
عن مشهد عظام قاس
وايدي الانسان ما لها من هدف
غير أن تحاكي الجذور تحت الارض .

مثلما أضعت نفسي في قلوب بعض الأطفال .
ما أكثر ما أضعتها في البحر .
أمضي ، وأنا جاهل بالماء ، باحثا
عن موت يفنيني ضوؤه .

الجريح بالماء

أريد أن أهبط البئر ،
أريد أن أرقي أسوار غرناطة ،
لأرى القلب الطعين
بابرة الماء الصدئة .

الطفل الجريح يئن
وعلى رأسه تاج من ثلج .
البرك ، والأحواض ، والينابيع
اشهرت سيوفها على الريح .
أواه ! أية سورة حب ، أى حد جارح !
أية تمتمة ليلية؛ أي موت ابيض !
أية صحارى ضوئية تغوص
في رمال الفجر !
كان الطفل وحيداً

والمدينة الغافية في حنجرته ،
نبع تفجره الأحلام
يحميه من سغب اعشاب البحر .
كان الطفل وغمه ، وجها لوجه ،
استلقى الطفل على الأرض
ولفه غمه.

أريد أن اهبط البئر ،
أريد أن أموت موتي بالرشفات ،
أريد أن أفعم قلبي بالطحلب ،
لأرى جريح الماء.

قصيدة البكاء

أغلقت شرفتي
لأني لا أود أن اسمع البكاء ،
لكن خلف الجدارن الرمادية
لاشيء يسمع غير البكاء .

ما أقل الملائكة المغنين،
ما أقل الكلاب النابحة ،
ألف كمان يهتز في راحة يدي .

غير أن البكاء كلب كبير ،
البكاء ملاك كبير
البكاء كمان كبير ،
الدموع تبرقع الريح ،
ولاشيء يسمع غير البكاء .

قصيدة الغصون

إلى حقول التماريت
قدمت كلاب من رصاص
منتظرة ان تسقط الغصون ،

في التماريت شجرة تفاح
بتفاحات من النحيب .
عند ليب يهدهد الآهات ،
ودراج يسوقها مع الغبار .

غير أن الغصون سعيدة
الغصون مثلنا .
لم يخطر ببالها المطر ونامت ،
كأنها اشجار ، فجأة .

واديان ينتظران الخريف
جالسين ، والماء حتى الركب .

والعتمة بخطوات فيل
دفعت بالغصون والجذوع .

إلى حقول تماريت قدم
اطفال كثر بوجوه مقنعة
منتظرين ان تسقط اغصاني ؛
منتظرين أن تسقط من نفسها ،

قصيدة المرأة المستلقية

في رؤيتك عارية تذكر للأرض .
الأرض الملساء ، الخالية من الجياد.
الأرض بلا قصب شكل صاف
مغلقة بوجه المستقبل : افق من الفضة .

في رؤيتك عارية ادراك لقلق
المطر في بحثه عن خصر نحيل
أو حمى بحر طلعة رحبة
لاتستبين ضوء خدها .

الدم يصلُ في المخادع
ويجيء بسيوف لاهبة
ولكنك لن تعلمي اين يختبىء
قلب الضفدعة أو البنفسجة

بطنك اشتباك جذور

وشفتاك فجر بلا حدود .
تحت حديقة الورد الباردة
يئن الموتى منتظرين دورهم .

قصيدة الوردة

الوردة
لم تبحث عن الفجر :
وهو يكاد يخلد على غصنها ،
بحثت عن شيء آخر

الوردة
لم تبحث عن معرفة أو ظل :
وهما حد من جسد وحلم
بحثت عن شيء آخر

الوردة
لم تبحث عن الوردة .
وهي ثابتة في السماء
بحثت عن شيء آخر

قصيدة الحمامات السود

على غصون شجر الغار
رأيت يمامتين سوداوين
كانت احداهما الشمس
والأخرى القمر
جارتيَّ الصغيرتين ، قلت :
أين قبري ؟
على ذيلي قالت الشمس .
في حلقي . قال القمر .
وأنا الذي كنت سائراً
والأرض تحيط بي
رأيت نسرين من ثلج
وفتاة عارية

أحدهما كان الآخر
والفتاة لم تكن أحدا .
أيها النسران الصغيران قلت .
أين قبري ؟
على ذيلي قالت الشمس .
في حلقي قال القمر .
على غصون شجر الغار
رأيت يمامتين عاريتين .
احداهما كانت الاخرى
ولم تكن كلتاهما احدا

اغنية البحار الاندلسي الليلية

من قادس الى جبل طارق
ما أجود الطريق !
يعرف البحر عبوري
بالتنهدات .

أواه ! ياصبية ، ياصبية ،
ما أكثر المراكب في ميناء مالقه !

من قادس الى اشبيلية
ما أكثر الليمون !
تعرفني البيارة
بالتنهدات .

أواه ! ياصبية ، ياصبية ،
ما اكثر المراكب في ميناء مالقه

من اشبيلية الى قرمونه
لاتجد أية سكين
الهلال يقطع
والهواء يمر جريحاً

أواه ! ايها الشاب ايها الشاب
الأمواج تطوي جوادي !

في الممالح المهجورة
نسيتك ياحبي .
فليسأل من يرغب في قلب
عن سلواني .

أواه ! ايها الشاب ، أيهاالشاب،
الأمواج تطوي جوادي!

قادس يامن يغرقك البحر ،
لا تمضي في هذا الدرب
انهضي يا اشبيلية

أو يغرقك النهر !

أواه ! ياصبية !
أواه ! أيها الشاب !
ما أجود الطريق !
ما أكثر المراكب في الميناء
وفي الساحة ما أشد البرد !

كل أغنية

كل أغنية
سكون
الحب .

كل نجمة
سكون
الزمن .
عقدة
الزمن .

كل تنهيدة
سكون
الصرخة .

مقالة في الروح المبدع وعمله

« محاضرة ألقاها لوركا في هافانا وبونس أيرس »

لا بد لمن يتجول في مسارح الثيران الممتدة مـــا بين الخوكر، وغوادالبيت، والسيل، أو أنهار بيسورغـا، من أن يسمع عاجلا أو آجلاً ذلك التعبير : « في هذا الكثير من الروح المبدع » قال مانويل توريس العظيم لمغن في إحدى المناسبات : « عندك صوت ، عندك أساوب ، ولكنك لن تصادف النجاح . فليس عندك روح مبدع ».

في جميع ربوع الأندلس من صخرة جيان إلى صدفة قادس، يتحدث الناس دائماً عن الروح المبدع ويتبينونه لحظة تجليه بغريزة لاتخطىء .

قال مغني الفلامنكو الرائع الايبر يخانو مبدع الدبلا[1] « حين أغني بروح مبدع لا يباريني أحد.» وصاحت الراقصة الغجرية العجوز لامالينا مرة وهي تسمع بريلو يسكي يعزف لحناً لباخ : « أولي[2] ! إن في هذا روحاً مبدعا ، في حين كانت تضيق بغلاك وبراهمز وداريوس ميلهاود . ومانويل توريس ، ذلك الرجل الذي في عروقه من الثقافة أكثر مما في أي انسان آخر ، قال ذلك القول الرائع ؛ وهو ينصت إلى دي فالا وهو يعزف لحنا من ألحانه : « كل ذي أصوات سوداء فيه روح مبدع » وليس من حقيقة أعظم من هذه .

---

(١) نوع من الغناء الاندلسي

(٢) الصيحة الاسبانية الشهيرة في صراع الثيران

تلك « الأصوات السوداء » هي السر، هي الجذور الممتدة في أعماق التربة الخصبة المرعة التي يعرفها كل واحد منا، ويجهلها كل واحد والتي منها نحصل على كل ما هو حقيقي في الفن. إن توريس هنا يوافق غوته في تعريفه الروح المبدع، حين نسب إلى باغانيني « القوة الخفية التي يحس بها كل إنسان ولم يعرفها فيلسوف ».

وعلى هذا فالروح المبدع قوة وليس سلوكاً، إنه صراع وليس تصوراً. سمعت عازف غيتار شيخاً يقول: « ليس الروح في الحلق، إنه ينبثق عالياً من أخمص القدم » هذا يعني أنه ليس مسألة إمكانية بل مسألة شكل صادق الحياة، مسألة الدم والثقافة التليدة والفعل الخلاق.

تلك القوة الخفية التي يحس بها كل إنسان ولم يعرفها فيلسوف هي في الواقع روح الأرض، الروح المبدع الذي عصر قلب نيتشه، وهو يبحث عن الأشكال الظاهرية على جسر ريالتو أو في موسيقى بيزيه دون أن يعثر عليها يوماً أو يعلم أن الروح المبدع الذي يتقفى أثره قد هرب من غوامض اليونان إلى راقصي قادس أو إلى صيحة سيغيريا سيلفريو[1] الديونيسيه الكسيرة.

لا أريد لأحد أن يخلط ما بين الروح المبدع وبين شيطان الشك اللاهوتي عند لوثر الذي قذف بلمسة باخية بدواة حبر في نور مبرغ، ولا بين الشيطان الكاثوليكي المخرب غير العالي الذكاء الذي يتنكر بإهاب كلبة كيما يدخل الدير.

---

(١) إشارة إلى سيلفريو فرانكونيتي وهو مغن ايطالي هذب أغاني الكانتي خوندو فنتج عنها السيغيريا

لا إن الروح الراعش الذي أتحدث عنه إنما هو سليل سقراط المرح، المجبول من الرخام والملح، الذي جرح سيده بغضب يوم تجرع الشوكران؛ سليل شيطان ديكارت الحزين، الصغير صغر حبة لوز أخضر، الذي مل من الخطوط والدوائر فمضى نحو الخلجان ليستمع إلى غناء البحارة السكارى.

كل خطوة يخطوها إنسان، أو فنان على حد تعبير نيتشه، نحو كماله، إنما هي على حساب صراعه المستمر مع روح مبدع، لا مع ملاك كما كان يقال ولا مع ربة شعر. لابد من تحديد هذا الفارق الأساسي كيما نبلغ الجذر من أي عمل.

إن الملاك يهدي ويهب العطايا كالقديس رفائيل أو يحرس ويدفع الاذى كالقديس ميشيل أو يحذر من الخطر كالقديس غابرييل.

الملاك قد يبهر البصر ولكنه لا يفعل إلا أن يحوم فوق رأس الانسان يمن عليه بنعمه، فيحقق الانسان دونما جهد عمله أو تعاطفه أو رقصته. الملاك على طريق دمشق والذي عبر من خلال شعرية النافذة الصغيرة في أسيسي أو الذي سار على خطى هنريخ سيسو هو ملاك يأمر ولا أحد يستطيع مقاومة بهائه لأنه يهز جناحيه الفولاذيين فوق فراغ الاختيار.

وربة الشعر تملي إرادتها، وتلهم بين حين وآخر. وما تستطيع أن تفعله قليل نسبياً، لأنها اليوم نائية ومرهقة ـ رأيتها مرتين ـ وعلي أن أقويها بنصف قلب من الرخام. الشعراء الذين تلهمهم ربة الشعر يسمعون أصواتاً يجهلون مصدرها، إنها تأتى من ربة الشعر التي تشجعهم وأحياناً تبتلعهم. هكذا كانت حالة الأبولوني، الشاعر الذي حطمته

ربة الشعر الرهيبة مع من رسمه الرسام الملائكي الرائع روسو . إن ربة الشعر تثير العقل وتجيء بمناظر ذات عمد وطعم زانف للغار . والعقل في الغالب عدو الشعر لانه كثيراً مايؤدي إلى التقليد ، ولأنه يعلو بالشاعر إلى عرش حاد الاطراف ويلهيه عن حقيقة أنه قد يلتهمه النمل فجأة ، أو أنه قد ينقض على رأسه سرطان من زرنيخ . وربات الشعر اللواتي يظهرن بالمونوكل أو بين ورود صالون صغير ذابلة مطليه بالورنيش يقفن عاجزات أمام كل هذا .

الملاك وربة الشعر يأتيان من الخارج ، الملاك يهب البريق وتقدم ربة الشعر القاعدة . ويتلقى الشاعر في دغل غاره معاييره ، وورقة من ذهب أو أوراقاً . وأمـــا الروح المبدع فيجب أن يوقظ في كل خلية من خلايا الدم .

علينا أن نثور على الملاك ، ونطرد ربة الشعر ، ونتخلص من خوفنا من عطر البنفسج المشع من شعر القرن الثـــامن عشر ، ومن المرصـد الكبير الذي تنام بين عدساته ، ربة الشعر الحبيسة المريضة .

إن الصراع الحقيقي هو مع الروح المبدع .

كل فرد يعرف كيف يبحث عن الله ، سواء كان ذلك بوسائل النسك الخشنة أو برقة الصوفية ؛ ببرج كبرج القديسة تيريزا أو بدروب القديس يوحنا ذي الصليب الثلاثة . وحتى إذا كان علينـــا أن نصبح صيحة أشعياء : « حقاً إنك الإله المحتجب » ، فإن الله أخـــيراً يرسل أولى أشواكه النارية لكل من يبحث عنه .

وأما في بحثنا عن الروح المبدع فليس لنا من خارطـــة ولا من

نظام . كل ما يعرفه الإنسان عنه أنه يحرق الدم مثل زجاج مطحون، أنه يرهق ، أنه يرفض كل ماتعلمه الإنسان من هندسة حلوة ، أنه يخالف جميع الأساليب ، أنه يجبر غويا سيد الرماديات والفضيات ، و تلك الألوان القرنفلية في أروع الرسوم الاسبانية على أن يضع بقبضتيه وركبتيه ألواناً مرعبة سوداء كالقار ؛ أو أنه الذي يدع موسن ثينتو فيرداغور عارياً في رياح البيرينية القارسة ؛ أو أنه الذي يدفع يورغ مانوبك لانتظار الموت في وحشة أوثانيا ؛ أو أنه يلبس جسم رامبو النحيل بذلة بهلوان خضراء .

إن فناني جنوبي اسبانيا العظماء ، غجراً كانوا أو فلامنكو ، يدركون وهم يغنون أو يرقصون أو يمثلون أنه مامن عاطفة صادقة ممكنة إلا وكان فيها روح مبدع . وهم قد يخدعون جمهوراً ما بعرضهم صورة تدعي امتلاك الروح المبدع ، مثلما يخدع الناس كل يوم بالكتاب والرسامين والنزوات الأدبية الحالية من الروح المبدع ، ولكن إذا ما استخدم الانسان ثاقب بصره فسرعان ما ينكشف الغش ويهرب الروح الزائف .

في إحدى المناسبات كانت مغنية الفلامنكو الأندلسية باستورا بافون « الفتاة ذات الأمشاط » العبقرية الاسبانية الحزينة ، المبدعة إبداع غويا أو رفائيل إلغالو[1] كانت تغني في مطعم صغير في قادس . غنت بصوتها الأشبه بالظلال ، بصوتها الأشبه بمعدن مصهور ، بصوتها المجلل بالطحلب ، بصوتها المجدول مع ضفائر شعرها الطويل . كادت

---

(١) مصارع ثيران مشهور .

تنقع صوتها بالخمر أو تفقده في أحراج نائية معتمة . ومـــع ذلك فقد أخفقت كل الاخفاق . كان جهدها كله بلا هـــدف . وظل الحضور صامتين .

كان بين الحضور إغناثيو إسبيليتا الجميل جمال غيلم روماني ، الذي سئل مرة : « كيف بقيت دائماً بلا عمل » وبابتسامة تليق بمثله أجاب : « لماذا أعمل مادمت قادماً من قادس ؟ »

وكانت أيضاً إلويزا عاهرة اشبيلية الارستقراطية النارية ، سليلة سوليدا فارغاس ، و التي رفضت في عام ١٩٣٠ أن تتزوج واحـــداً من آل روتشيلد لأنه لايساويها في النسب . وكان هنـــاك أيضاً آل فلوريدا المتهمين بأنهم جزارون وما هم سوى كهنة يضحون بالثيران . وكان يجلس في إحدى الزوايا دون بابلو ميروب مربي الثيران الجليل ينظر نظرة قناع كريتي . أنهت باستورا بافون غناءها وسط الصمت . غير أن رجلاً صغيراً ، من اولئك الراقصين المخصيين ، الذين يقفزون فجأة من خلف زجاجات العرق ، قال هازئاً بصوت خافت : « تحيـــا باريس » كأنما يعني : « نحن هنا لا نهـــتم بالامكانيـــة أو بالأداء أو بالاستاذية . نحن هنا نهتم بشيء آخر . »

حينذاك نهضت الفتـــاة ذات الأمشاط كامرأة مقهورة كسيرة ، كواحدة من القرون الوسطى ترتدي ثياب الحداد ، فشربت في جرعة واحدة كأساً كبيراً من الكاثالا ، الخمرة التي تشبه النار ، ثم جلست لتغني بلا صوت ، بلا نفس ، بلا رقة ، وحنجرتها تحترق ؛ ولكن ... بروح مبدع . لقد نجحت في الخلاص مما يهد الأغنيـــة ، لتفسح الدرب

أمام روح مبدع ناري حاد ، رفيق ريح محملة بالرمال ، جعل أولئك الذين يسمعون يمزقون ثيابهم مع الايقاع ، كزنوج كاريبيين احتشدوا أمام صورة القديسة بربارة .

كان على الفتاة ذات الأمشاط أن تمزق صوتها لأنها علمت أنه يسمعها صفوة لا يبحثون عن الأشكال بل عن جوهر الأشكال ، عن الموسيقى العلوية في أصفى جوهر . كان عليها أن تفقر مهاراتها و كل ما يسعفها في الغناء ، أعني أنه كان عليها أن تطرد ربتها وتقف وحدها ليستطيع الروح المبدع أن يتجلى ويخوض معها معركة باليدين . و كيف غنت ! لقد غمرها الحماس ، وأصبح صوتها نافورة دم مدهشة بألمها وإخلاصها ، وتفتحت كيد بعشر أصابع في قدمي المسيح المسمرتين ولكن العاصفتين من رسم خوان دي خوني .

إن تجلي الروح المبدع يستلزم دائماً تغيراً مشعاً لجميع الأشكال المبنية علي الطرز القديمة ، ويهب إحساساً بالنضرة ؛ جديداً كل الجدة ، كوردة تخلق حديثاً ، كمعجزة ، ويولد في النهاية مايشبه الحماس الديني .

عند العرب ، في موسيقاهم أو رقصهم أو غنائهم يحيا تجلي الروح المبدع بصيحات تهتف « الله : الله : » غير البعيدة عن « أولي » صراع الثيران وفي غناء جنوبي اسبانيا تتلو صيحة « فيفاديوس » (يحيا الله) تجلي الروح المبدع إنها صرخة تواصل مع الله من خلال الحواس الخمس بفضل الروح المبدع الذي يهز جسد الراقص وصوته ، صرخة عميقة انسانية ، تجريد شعري صادق لهذا العالم ، صاف صفاء الحدائق السبع لشاعر القرن السابع عشر بدرو سوتوري روخاس ، أوصفاء

القديس جون كليما كوس على سلم بـكائه الراعش .

وحين يبلغ ذلك التجريد يحس كل إنسان بآثاره ، يحسه المتعلم ، الذي عرف كيف يستطيع الأسلوب قهر المادة الضعيفة ، ويحسه الجاهل بعاطفة أصابيه غير قابلة للتعريف . منذ بضع سنين فازت عجوز في الثمانين بالجائزة في مباراة للرقص في خيرث دي لافرونتيرا ، من بين نساء جميلات وصبايا لهن خصور كالماء ، مكتفية برفع ذراعيها وإلقائها رأسها إلى خلف ، وضربها بقدميها على الرصيف : في ذلك الحشد من ربات الشعر والملائكة والقدود الفاتنة والابتسامات الساحرة ، كان الروح المبدع المحتضر ، وهو يجرجر جناحين من سكاكين صدئه ، مهيأ للفوز ، وقد فاز حقاً .

إن جميع الفنون قادرة على امتلاك الروح المبدع غير أن الميدان أوسع بالطبع امام الموسيقي والرقص وإنشاد الشعر لانها تتطلب كائناً حياً ينقلها ـ لأنها أشكال تبعث وتموت دونما توقف ؛ ولا تعرف إلا في لحظتها الآنية .

غالباً ما ينتقل روح المبدع إلى ناقل ، وهو هنا لايساوي شيئاً لأنه حتى إذا كان المؤلف الموسيقي أو الشاعر زانفين ، فإن روح الناقل المبدع يستطيع أن يخلق معاناة جديدة مدهشة تشبه العمل الأصلي بعض الشبه . تلك كانت حالة اليانورا دوسي التي كانت تبحث عن الاخفاق كي تحيله إلى نجاح بفضل ما تضعه فيه ، أو عند باغا نيني الذي استطاع ،كما يرى غوته ، أن يجعل من موسيقى عادية ألحاناً ممتازة ،أو تلك الفتاة الرائعة التي شهدتها مرة في ميناء سانتا ماريا ترقص وتغني تلك الاغنية

الايطالية المخيفة (آه اماري) بايقاع وحركات ومعان إستطاعت بها تحويل الاغنية الايطالية الرخيصة إلى أفعى قوية من ذهب صلد ، كانت القضية في كل هذه الأمثلة قضية الناقل الذي يعيد خلق العمل الأصلي : لقد وضع الدم الحي والعبقرية الفنية في أجساد لاتملك التعبير .

كل الفنون ، وكل البلاد أيضاً ؛ قادرة على امتلاك الروح المبدع أو الملاك ، أو ربة الشعر . فبينما تمتلك المانيا ربة الشعر . ماعدا بعض الاستثناءات ، وتمتلك ايطاليا ملاكاً دائماً فإن اسبانيا تهتز بالروح المبدع ، لكونها بلداً عريقاً بالرقص والموسيقى ؛ بلداً يعصر فيه الروح المبدع ليمون الفجر إلى جانب كونها أمة موت ، أمة مفتوحة للموت .

فالخاتمة في كل بلد للموت . ما إن يصل حتى تسدل الستائر . إلا في اسبانيا . في اسبانيا ترفع الستائر . كثيرون من الاسبان يعيشون بين الجدران حتى ساعة موتهم ، حين يحملون إلى ضوء الشمس . ان الانسان الميت في اسبانيا هو أكثر حياة في موته منه في أي مكان آخر - لوجه جانبه يقطع كحد موس حلاقة . وإن الهزء بالموت والتأمل الصامت له أمران مألوفان عند الاسبان .

فمن (حلم الجماجم) لكويفيدوس إلى (الاسقف الفاني) لفالدس ليال ، ومن ما ريلا القرن السابع عشر التي ماتت ، وهي تضع طفلا على قارعة الطريق ، وتقول .

دماء أحشائي
تجلل الجواد .
حدوات جوادك

تقدح نار القطران . . .

إلى فتى سالامانكا المعاصر الذي صاح وقد صرعه الثور

إني أموت أيها الرفاق
حالي يسوء أيها الرفاق
ثلاث محارم في
وهذي هي الرابعة . . .

سياج من زهرات نترات الصوديوم يرتفع حول شعب يتأمل الموت شعب يلهم في أشد ساعات العبوس بأشعار إرميا، ويكون في أشد حالات الطرب تحت السرو العطر . بل إنه بلد أهم ما فيه هو ما يبلغ أعنف صورة معدنية للموت .

فالسكين وعجلة العربه ، والموسى وذقون الرعاة الخشنة . والقمر العاري ، والذبابة ، والخزائن المبللة ، وكسارة الحجارة ، والصور الدينية المغطاة بالدانتيل ، والكلس الحي ؛ وأطراف الافاريز الجارحة وأبراج المراقبه ، فوق كل هذا تنبت في اسبانيا ويدات عشب الموت . مثلما تثير ذاكرتنا الرموز والأصوات التي تحس بهـا العقول اليقظة في هواء عبورنا الساكن . إن ارتباط الفن الاسباني بالأرض ليس أمراً عرضياً ، إنه فن محاط بالأشواك والصخور ؛ وليست مرثية بليبريو أو رقصات الاستاذ جوزيف مارپادي فالديفيلو أمثلة فريدة ، وليس صدفة خلود أغنية الحب الاسبانية التالية دون جميع الأغاني الأوربية :

– مادمت لي حبيبتي

ففيم لا ترينني ، ابتهل ؟
– عيني التي بها أراك
وهبتها للظل .

– مادمت لي حبيبتي
ففيم لا تقبلينني ، أبتهل ؟
– شفاهي التي بها أقبلك
وهبتها للارض .

– مادمت لي حبيبتي
ففيم لاتعانقينني ، ابتهل ؟
– ذراعي التي بها أعانقك
غطيتها بالدود .

كما ليس غريباً أن نجد هذه الأغنية ؟ في أقدم الشعر الغنائي الاسباني

في البستان
سألقى الموت ،
سأكون قتيلا
قرب شجيرات الورد .
كنت ماضياً ، أماه !

لاجني الورود ،
وفي البستان
لقيت الموت .
كنت ماضياً ، إماه !
لأقطف الورود .
وقرب شجيرات الورد
لقيت الموت .
في البستان
سألقى الموت ،
سأكون قتيلا
عند شجيرات الورد .

الرؤوس الشبيهة بقمر متجمد في رسوم زورباران ،والأصفر بلون الزبدة ؛ والأصفر بلون البرق في رسوم الغريكو ، وجميع أعمال غويا ، وقبة كنيسة الاسكوريال و كل نحتنا ومرداب الدار الدوقية في اوثونا ،و« الموت مع الغيتار »في كنيسة بنيافنتس في مدينه دي ريوثيكو كل هذا يؤلف الصورة المتقنة للحجاج إلى القديس اندريه دي تيكسيدو ؛ حيث للموتى مكانهم في الحفل ؛ وللترانيم التي تنشدها نسوة استوريا على ضوء الفانوس في ليالي تشرين لرقصة العرافة في كاتدرائيات مايورقه وطليطله . ولا حتفالات الجمعة الحزينة التي لاتحصى ، والتي تؤلف ، مع مشاهد مصارعة الثيران الراقية . النصر الشعبي للموت في اسبانيا . ومن

بين جميع بلدان العالم لايبارى اسبانيا في هذا إلا المكسيك .

حين تسمع ربة الشعر بالموت تغلق بابها ، أو ترفع نصباً، أو تتأمل إناء ، أو تكتب نقشاً تذكارياً بيد من شمع . ثم تقطف مسرعة باقتهافي الصمت الراعش بين هبتي نسيم ، وتحت قوس القصيدة المقطوع ، تضع بلمسة حزينة الزهور الدقيقة التي رسمها الايطاليون في القرن الخامس عشر ثم تستحضر ديك لو كريتيس الموثوق لترهب ظلالا مأمونه.

وحين يسمع الملاك بالموت ينطوي على نفسه ، وينسج بدموع من ثلج مرثيته ويزينها بالنرجس ، تلك المرثية التي ألفيناها ترتجف بين يدي كيتس ، أو هيريرا ؛ أو خوان رامون خيمنيث . لكن ما أشد رعب الملاك إن أحس بعنكبوت، مهما يكن صغيراً، على قدمية الورديتين الناعمتين

وأما الروح المبدع فلا يظهر إن لم يكن على موعد مع الموت ، إن لم يعرف أنه سيقيم في دارة الموت ، إن لم يكن على يقين من أنه سيهز هذه الاغصان التي نحملها جميعاً والتى لا تبهج ولن تقدم عزاء لمحزون .

في الفكر أو في الصوت أو في الايماءة ؛ يجب الروح المبدع أن يخوض معركة مباشرة مع الفنان على حافة البئر . وإذا كن الملاك وربة الشعر يقنعان بكمان أو إيقاع محسوب فإن الروح المبدع يجرح ؛ وفي برء ذلك الجرح الذي لا يندمل روعة عمل الانسان واصالته .

إن السمة السحرية لقصيدة ما يقوم وجودها على كونها ممسوسة بالروح المبدع ، لذا فإن كل من يحملها معمد بماء أسود . لأنه مع ذلك الروح

يسهل الحب ويسهل الفهم ، ويكون الانسان على يقين من أنه محبوب ومفهوم ، وذلك الكفاح من أجل التعبير ومن أجل التواصل في التعبير يتخذ أحيانا هيئة صراع مع الموت .

إن الروح المبدع يحب حواف الأشياء ، والجرح ، وهو مشدود الى حيث تصهر الأشياء نفسها في تشوف أعظم من تعبيراتها الظاهرة.

وفي اسبانيا (كما في الشرق حيث الرقص تعبير ديني) للروح المبدع ميدان بلا حدود في أجساد راقصات قادس ، وفي صدور المغنين ، وفي جميع طقوس مصارعة الثيران ؛ تلك المسرحية الدينية الحقة التي فيها ما في القداس من عبادة وإله يضحى له .

كأنما جميع أرواح العالم الكلاسيكي المبدعة قد اجتمعت في ذلك المشهد الأمثل ، رمز ثقافة وحساسية شعب اكتشف أروع غضب الانسان وأنقى حزنه ، وأروع تشاؤمه . وليس من ينال البهجه ، في أسبانيا ، لا في مصارعة الثيران ، ولا في الرقص الاسباني ، لأن الروح المبدع يجهد في أن يجعل الانسان يتألم خلال المسرحية ، في أشكال حية ويهيء أسباب الفرار من الواقع المحيط .

يفعل الروح المبدع بجسد الراقص مايفعله النسيم بالرمل . ويجعل بقوة سحرية الفتاة تشل بالقمر ، أو يملأ بخجل الصبيان شيخاً معدمـــاً يستجدي على أبواب الحانات . أو ينقل بجدائل شعر طويل رائحة ميناء في الليل . وهو في كل لحظة يدفع بالأذرع الى الحركات التي نشأ عنها الرقص في مختلف العصور .

ولكن مايجدر توكيده أن الروح المبدع لايستطيع أبداً أن يكرر نفسه كما لاتستطيع أشكال البحر أن تكرر نفسها في العاصفة .

في صراع الثيران أعنف صورة مؤثرة يبلغها الروح المبدع. إذعليه أن يصارع الموت صراعاً قد يؤدي الى الدمار . كما عليه أن يجابه الهندسة ، المقياس الأساسي للمشهد .

للثور مداره ، وللمصارع مداره وبين مدار ومدار تكمن نقطة الخطر حيث تدوررحى اللعبة المخيفة .

يمكن أن تقف معك ربة الشعر اثناء قذف المو ليتا[1] ، والملاك عند قذف الباندريلات[2] ، وتسمى مصارعاً جيداً ؛ ولكن عند اللعب بالرداء حين يكون الثور خالياً من الجراح ، وعند القتل النهائي ، لابد من عون الروح المبدع لاصابة كبد الحقيقة الفنية .

ان المصارع ، الذي يخيف المشاهدين بتهوره ، لا يصارع ، وانما هو على مستوى من يقامر بحياته ، وهذا غير صعب على أحد ، بينما المصارع الذى ينفذ فيه الروح المبدع يعطي درساً في الموسيقى الفيثاغورية دون ان نشعر انه يلقي بقلبه دائماً الى القرون .

---

(١) رماح مغلفه بقماش احمر

(٢) سهام مزينة بأوراق او اعلام ملونة .

المو ليتا والباندريلات يستخدمها المصارع في الحلبة ضد الثور

لاغار تيخو وروحه الروماني المبدع ، وخوسيليتو وروحه اليهودي المبدع ، وبلمونتي وروحه العجيب المبدع ، وكانا نيثو وروحه الغجري المبدع ، إنهم جميعاً يعرضون على الشعراء والرسامين والموسيقيين في شفق حلبة الصراع الدروب الأربعة العظيمة للتراث الاسباني .

اسبانيا هي البلد الوحيد الذي يكون فيه الموت مشهداً طبيعياً ، حيث يقرع الموت قرعات طويلة عند حلول كل ربيع ، وفنها موجه دائماً بروح مبدع حصيف يسبغ عليها شخصيتها المتميزة وسمتها الخلاقة .

فالروح المبدع الذي يفعم لأول مرة في النحت خدود قديسي الاستاذ ماتيو كومبوستيلا بالدم الأحمر ، هو الروح المبدع نفسه الذي يدفع القديس يوحنا ذا الصليب الى النحيب ، او يحرق حوريات عاريات في اغاني لوبي دي فيغا الدينية .

والروح المبدع الذي رفع برج ساهاغون أو صنع الاجرات الحمر في كالاتايود أو تيرويل هو الروح المبدع نفسه الذي يعصف بغيوم الغريكو ويلهب رؤى غويا .

حين يهطل المطر يبعث روح فيلاسكيث المبدع خفية وراء رماديات أمرائه ؛ وحين يسقط الثلج يبعث روح هيريرا المبدع عارياً ليثبت ان البرد لا يميت ، وحين يشتعل الروح المبدع يشد بيريغيتي الى وهجه ويجعله يكتشف بعداً جديداً في النحت .

من الواضح ان لكل فن روحاً مبدعاً ذا شكل ونوع خاصين به . ولكن الفنون جميعاً تلتقي جذورها في نقطة تنبعث منها « أصوات مانويل توريس السوداء » مادة أولى واساساً راعشاً لا يحد شاملا للخشب

والصوت والقماش والكلمات .

تلك « الاصوات السوداء » خلف مانكتشفه من تآلف البراكين الجنون ، والنمل ، والأنسام الوادعة ، ودرب المجرة المزنر لخصر الليله الرائعة .

أيها السيدات والسادة : لقــد رفعت ثلاثة أقواس وبيد حمقاء وضعت عليها ربه الشعر ، والملاك ، والروح المبدع .

إن ربة الشعر تظل هادئة فهي تستطيع أن تتخذ صورة القميص المحكم النسج ، اوعيون أبقار بومبيي المحدقة ، أو الانف الضخم ذي الوجوه الأربعة الذي أعطاها إياه صديقها بيكاسو . وقد يتعثر الملاك في الجدائل المرسومة بريشة أنتونيلو ميسينا ، أو في قميص ليبي او في كمان ماسولينو أو كمان روسو...

والروح المبدع ـ أين الروح المبـدع ؟ عبر القوس الفـارغ تهب ريح من العقل تظــل تفض رؤوس الموتى بحثــاً عن مناظر جديده ونبرات صادقة ، ريح تفوح برائحة رضاب طفل وعشب مطحون وقناع ميد يوزي[1] تهتف بالتعميد الازلي لكل ما يخلق من جديد .

ف . غ . لوركا

---

(١) ميديوزا : في القصص اليوناني القديم ، احـدى شقيقات ثلاث يدعين بنات غورغون على رؤسهن أفاع بدل الشعر .

المحتوى

الصفحة

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٨	إذا	إذ
٧	١٤	وعاد لم	وعاد ولم
١٠	١٧	حين أنه	حين شعرت أنه
١٦	٧	التطورات	التصورات
١٦	١٨	يشير	تشير
١٨	٦	مشاعر	شاعر
٢٠	٧	هذه الرثية	في هذه المرثيه
٢٤	٤	الربيعيين	الربيعيتين
٣٥	١٣	يهون	يهوي
٣٦	١	رأيتها	أيتها
٤٤	٢	طريق اشبيلية	طريق في اشبيلية
٤٤	٩	وشنبل)	و (شنيل)
٤٥	٣	يا أنفاس	يا أندلس
٩٢	٩	قاطعاً	قطعا
١١٦	٩	الرمانية	الرومانية
١٢٠	٩	أطفيء	أطفئي
١٢١	٨	تحررت الخوف	تحررت من الخوف

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٢	١	على	علا
١٢٢	٤	الشوارع	من الشوارع
١٥٨	٣	جشرجتك	حشرجتك
١٥٨	١١	يتفسحون	يتفسخون
١٦٢	٤	.ملكة	مملكة
١٧١	١٠	مخمط	مخطم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٢	١	على	علا
١٢٢	٤	الشوارع	من الشوارع
١٥٨	٣	جشرجتك	حشرجتك
١٥٨	١١	يتفسحون	يتفسخون
١٦٢	٤	ملكة	مملكة
١٧١	١٠	مخمط	مخطم

ولد فيديريكو غارثيا لوركا في فوينتا فاكيروس في سهل غرناطة المرع في الخامس من حزيران عام ١٨٩٨ ، وقتل في تموز عام ١٩٣٦ بيد عصبة مجهولة في الايام الاولى من الحرب الاهلية ، وقد جرى اعدامه كما يظن في فيثنار على التلال القريبة من غرناطة ، ولكن جسده (كما كان قد تنبأ) لم يعثر عليه :

لم يبلغ أي من شعراء اسبانيا المعاصرين ما بلغه لوركا من شهرة عالمية . فقد جعلت منه ترجمات أعماله في السنين التي سبقت الحرب العالمية الثانية رجلا ذائع الصيت ، وخاصة في بريطانيا والامريكيتين ولعل الفضل في شهرته المبكرة يعود ، بشكل ما ، لظروف مصرعه الفاجع المروع في الحرب الأهلية الاسبانية . غير ان السنين اللاحقة أثبتت أن القدر الاكبر من شعبيته يستند إلى أسس أكثر رسوخاً من الحساسية والتعاطف . والحق أن قيمة لوركا قد علت على تعاقب السنين وبإمكاننا القول واثقين إن شعره يقف في مرتبة خير ما قدمته اسبانيا ، وهذه المختارات (ومقالته عن روح المبدع) تمثل أهم مزايا لوركا الشعرية .

الناشر
دار دمشق
للطباعة والنشر والتوزيع

السعر
١٤٥ ق.س